



دروس في

أصول الدين

للمستوى الثانوي

(السنة الأولى والثانية)

إعداد :

مصطفى بن محمد شريفي

معهد الحياة

السنة الدراسية : 1427 - 1428 هـ / 2006 - 2007 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله

تعريف عام بعلم أصول الدين وأهميته

تمهيد

أصول الدين هي أول ما يجب على المُكَلَّف معرفته، إذ لا يُعبد الله تَعَالَى عن جهل أو شكٍّ. ولا بُدَّ أن تكون العقيدة راسخة في القلب. ونظرا لأهميتها فقد بقي النبي ﷺ، في مكة ثلاثة عشر عاما وهو يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك.

والمرجع الأساس في أصول الدين: هو النصوص القطعية من القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، والنظر العقلي في غير الأمور الغيبية.

وتطلق على علم أصول الدين أسماء أخرى، منها: «علم العقيدة»، «علم التوحيد»، «علم الكلام»، «الفقه الأكبر»، «علم النظر والاستدلال»⁽¹⁾. نكتفي بتعريف بعض منها.

تعريفات:

1- علم أصول الدين :

العلم: هو الإدراك الجازم المطابق للواقع.

الأصول: جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، سواء أكان حسياً أم معنوياً.

الدين لغة: هو الجزاء: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. والطاعة، فيقال: دنت له. والعادة والشأن، فيقال: هذا ديني وديني.

والدين اصطلاحاً: هو ما شرعه الله تَعَالَى على لسان نبيه من الأحكام. وهو نظام شامل لكل نواحي الحياة.

وإنما سُمِّيَ هذا العلم «أصول الدين» لأن الدين كله مبني عليه صحة وفساده، فلا دين لمن لا اعتقاد له.

2- علم العقيدة:

العقيدة لغة: من العَقْد: نقيض الحل. نقول: عَقَدَ الحَبْلَ بمعنى شده. ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم.

(1) من الباحثين المعاصرين من يفرق بين علم التوحيد أو العقيدة أو أصول الدين من جهة، وبين علم الكلام من جهة أخرى، تمييزاً

لِلثابت اليقيني الذي لا خلاف فيه بين المسلمين عمّا وقع فيه الخلاف.

عرّف الاستدلال بأنه: الْعَمَلِيَّةُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي يَنْتَقِلُ فِيهَا الْفِكْرُ الْإِنْسَانِيُّ مِنْ قَضِيَّةٍ أَوْ قَضَايَا مَعْلُومَةٍ، إِلَى نَعْرِفِ حُكْمَهَا، إِلَى قَضِيَّةٍ

أُخْرَى مَجْهُولَةٍ، يُرَادُ مَعْرِفَةُ الْحُكْمِ فِيهَا. وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ غَالِبَ مَبَاحِثِهِ تَشْتَمِلُ عَلَى الْاِسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ أَوِ النُّقْلِيِّ.

وَعَرَّفَ عِلْمَ الْكَلَامِ بِأَنَّهُ: «عِلْمٌ يَقْتَدِرُ مَعَهُ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ بِإِيرَادِ الْحُجَجِ وَدَفْعِ الشُّبُهَةِ».

واصطلاحاً: هي مجموع القضايا التي اطمأن إليها القلب وسلم بها، وصدق بها العقل تصديقاً جازماً، لا يمازجه شك ولا ريب. وهي قد تترادف الإيمان بالأركان الستة الآتي ذكرها، وبكل ما يتعلق بها.

3- علم التوحيد:

التوحيد لغة: يقال: وحَّد وأحَدَ كما يقال: ثنى وثَلث... ويعني الحكم بأن الشيء واحد.

واصطلاحاً: هو: «تجريد الذات الإلهية عن كل ما يُتصور في الأفهام، ويُتخيل في الأوهام والأذهان...». أو هو: «إثبات وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، واعتقاد كماله، وتنزيهه عن كل صفات النقص».

وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَن تَوْحِيدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمُّهُمُ مَسَائِلَ هَذَا الْعِلْمِ، فَمَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَيَدُ دَعْوَتِهِ بِتَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾⁽¹⁾.

موضوعات علم أصول الدين:

موضوعات علم أصول الدين هي أركان الإيمان الستة وما يتعلق بها، والتي لخصها حديث جبريل عليه السلام: «قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنْ أَحَدٍ، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَلْزَقَ رُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: فَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ. قَالَ: فَمَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...»⁽²⁾.

ولبعض العلماء المعاصرين تقسيم لهذا العلم وفق محاور كبرى: نظرية المعرفة (العلم والجهل وأقسامهما)، الإلهيات، النبوات، الغيبات (أو السمعيات)، الإنسانيات. ومنهم من يضيف «الكونيات».

أهمية علم أصول الدين:

أ- تتمثل أهمية هذا العلم وفائدته فيما يأتي:

- الإجابة عن التساؤلات المحيرة لبني البشر في كل العصور، وهي: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟ وبالتالي: اكتساب التصور الصحيح للكون والحياة والإنسان، والوجهة الصحيحة لتحمل الأمانة في هذه الحياة.
- معرفة الإنسان قدر نفسه، فلا يتناول بعقله، ولا يطغى بقوته، ويتواضع حين يستشعر عبوديته لله وافتقاره إليه.
- الترقى من حضيض التقليد إلى ذروة اليقين.
- إرشاد المسترشدين بإيضاح الحجج.

(1) سورة الأعراف: 59، 65، 73، 85. سورة المؤمنون: 50، 61.

(2) وَبَقِيَّةُ الْحَدِيثِ: «...قَالَ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ قَالَ: فَتَعَجَّبْنَا مِنْهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَمَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَمَا أَمَارَتُهَا؟ قَالَ: أَنْ تِلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ أَصْحَابَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَنِيَانِ. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِينِي النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلَاثٍ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ هَلْ تَذَرِي مِنَ السَّائِلِ؟ ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَالْفَلْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ، كِتَابُ الْإِيمَانِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ، رَقْمُ 2610.

- حفظ الدين من أن تزلزله شبه المبطلين، بإقامة الحجج عليهم.
- تقويم سلوك الإنسان، في علاقته بالله، وبالناس، وبالكون (حيوان، نبات، بيئة...).
- صحة النية والاعتقاد، إذ بها يرجى قبول العمل؛ فإن الله لا يقبل أي عمل بدون اعتقاد صحيح، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 85)، ومهما فعل صاحب المعتقد الخاطيء من خير فلن ينفعه⁽¹⁾.
- الفوز بسعادة الدارين.

ب- أهمية العقيدة في التصوير القرآني:

قال تعالى في شأن كلمة التوحيد: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خبيثة كَشَجَرَةٍ خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرارٍ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (إبراهيم: 24 - 27).

جاء في الحديث أن الشجرة الطيبة هي النخلة⁽²⁾، وهي مثل للمؤمن، في صلاح أعماله، وعموم نفعه. أصلها ثابت: إشارة إلى يقينه الراسخ، وعقيدته الثابتة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الحجرات: 15).

وفرعها في السماء: إشارة إلى علو مكانة عمله وقبوله، وعلو قدره عند الله، وإلى عزة المؤمن وشموخه. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: 10)، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 139).

الأكل: العمل الصالح (قولا وفعلًا)، ونيل الثواب.

اجتثت من فوق الأرض: اقتلعت من جذورها، وهي مثل لكلمة الكفر وصاحبها، لا خير فيه، ولا نفع، ولا يرتفع

(1) مثلاً: الأم تيريزا، البابا يوحنا بولس الثاني، ديانا... المنظمات الإنسانية غير المسلمة، كمنظمة الإغاثة الدولية، الصليب الأحمر، أطباء بلا حدود، منظمات حقوق الإنسان، منظمات المحافظة على البيئة، كلها أعمالها خيرية، ولكن الله تعالى يقول في أمثالها: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (إبراهيم: 18)، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كظلماتٍ في بحرٍ لججٍ يغشاها موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: 39 - 40)، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: 23).

(2) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا... تؤتي أكلها كل حين. قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: هي النخلة، فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا. البخاري: كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، رقم 4421، ج 4/ص 1735.

له عمل ولا شأن. ولا يستقر على حال، فهو دوما مضطرب شقيّ، دنيا وأخرى.
وبما أنّ موضوع العقيدة أهمُّ الأمور وأعلاها، وغايته أشرف الغايات وأجداها، ودلائله يقينية فهو إذن أشرف العلوم وأسمائها.

المراجع:

- عبد العزيز الثميني (ت: 1223هـ): معالم الدين، ص5 وما بعدها.
- السالمي نور الدين: مشارق أنوار العقول، 26-32.
- السالمي، نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي: بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد، ص12.
- د.محمد رواس قلعة جي، د.حامد صادق قنبي: معجم لغة الفقهاء، ص318، مادة: «عقد».
- البوطي: كبرى اليقينيّات الكونية، ص64-74.

النشاط الدراسي:

ترسم النخلة في الكراس مع البيانات القرآنية، وما يرمز إليها كلّ من: الأصل، والفرع، والأكل، والتربة (القلب اللين لذكر الله)، وسقيها بالذكر والتدبر في الكتاب المسطور والكتاب المنظور.

مفاهيم أساسية

أولاً: الإسلام

1- تعريف الإسلام:

الإسلام لغة: هو الخضوع والطاعة والإذعان والانقياد والاستسلام، عموماً.
الإسلام اصطلاحاً: هو الخضوع وو... لله تعالى وحده، اعتقاداً وقولاً وعملاً. أو هو الوفاء بجميع الواجبات الدينية، اعتقادية كانت أم قولية أم عملية. وهو بهذا المعنى مرادف للإيمان.
وقد يتجوز في إطلاق لفظة المسلم على الموحد عموماً، سواء أكان موفياً أم غير موفٍ.

2- أهمية الإسلام:

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، ولا يقبل منهم ديناً غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: 19)، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 85).

وقد تكررت لفظة الإسلام على لسان الأنبياء قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، منها قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَوْصَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 131 - 132).

والإسلام هو النظام الشامل لكل جوانب الحياة: الدينية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: 162 - 163).

والإسلام هو السبيل الوحيد للسعادة والفوز في الدارين.

3- أركان الإسلام وقواعده:

لقد حدّد حديث جبريل عليه السلام أركان الإسلام في خمسة، وقد سبق ذكره.
وقد اجتهد علماء الإباضية، فوضعوا للإسلام أركاناً أربعة، وهي: الاستسلام لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والتوكل على الله، والتفويض إلى الله. ووضعوا له قواعد أربعة، وهي: العلم والعمل والنية والورع⁽¹⁾.

(1) هذه تسمية عمرو بن جميع في عقيدة التوحيد وتبعه شُرّاحها. وهنالك من يستبدل بلفظة «الإسلام» لفظة: «الدين»، فيقول: قواعد الدين وأركان الدين. كالشيخ إسماعيل الجيطالي في قواعد الإسلام، 287/1-341. والقطب اطفيش في الذّهب الخالص، ص 72-75، 78-80.

ثانياً: الإيمان

1- تعريف الإيمان:

الإيمان لغة: هو التصديق.

الإيمان اصطلاحاً: له نفس المعنى الاصطلاحي للإسلام.

2- شروط الإيمان:

يشترط في صحة الإيمان أن يستكمل كل الشروط الثلاثة: التصديق والقول والعمل.

1- فالتصديق بالجنان (أي القلب): هو الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وبما جاء به.

2- والقول باللسان: وهو الإقرار بالجمل الثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن ما جاء به حق من عند الله. وهو شرط لإجراء أحكام المسلمين على الناطق بها.

3- والعمل بالأركان: وهو الإتيان بالفرائض واجتناب المنهيات. وهو شرط لنيل الثواب والنجاة من العقاب.

قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون شعبة - فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»⁽¹⁾.

3- زيادة الإيمان ونقصانه وضعفه :

- الإيمان يزيد بفعل الطاعات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الأنفال: 2) .

- الإيمان لا ينقص بترك العمل الواجب بل ينهدم بارتكاب الكبائر، بدليل قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن...»⁽²⁾.

- الإيمان قد يضعف بسبب فتور الاجتهاد في الطاعات.

4- طرق الإيمان :

لإثبات الإيمان وترسيخه في القلب طرق ثلاثة: الفطرة، والعقل، والوحي.

أ- الفطرة:

الفطرة هي وعي في أعماق الإنسان، يدفعه إلى البحث عن الإله، وعن طقوس عبادته.

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان، 63/1، رقم 35.

(2) رواه الربيع بن حبيب بزيادة: «ومن تاب تاب الله عليه». الجامع الصحيح، 276/4، رقم 983. ورواه البخاري وابن ماجه بزيادة: «ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن». البخاري: كتاب المظالم والغصب، 875/2، رقم 2343. ابن ماجه: السنن، كتاب الفتن، حديث 3936، ج2/ص 1298.

قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: 30) .

إنَّ التدينَ أمرَ فطريٍّ في الإنسان، فقد نجد مجتمعات دون فنون ولا فلسفات... ولكن لا نجد مجتمعا دون معابد وطقوس.

وتتجلى الفطرة عند الشدائد، فإنَّ المضطربَّ حينئذٍ (مهما كان كفره) لا يلتجئ إلا إلى الله وحده، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ...﴾ (يونس: 22 - 23) .

ب- العقل:

يستطيع العقل أن يدرك عظمة الله من خلال آثاره؛ لذلك فقد دعا القرآن الكريم والرسول الأمين ﷺ إلى التأمل في الآفاق وفي الأنفس، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: 21)، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164) . والاكتشافات العلمية الحديثة تزيدنا إيمانا و يقينا.

ولكنَّ العقل محدود القوى؛ لذا يستحيل أن يدرك كنهه الله (أي حقيقته)؛ وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ...»⁽¹⁾.

ج- الوحي:

بما أنَّ عقلنا محدود، فإنَّ الوحي يخبرنا بما لا تتوصل إليه بالعقل فقط، كالغيبات (اليوم الآخر، الملائكة...)، وكصفات الله وأسمائه، وشعائر عبادته⁽²⁾، ومقياس الخير والشر، وجواب الأسئلة المحيرة للإنسان... فالوحي بالنسبة للعقل كالنور للعين.

5- عوارض الإيمان:

رغم أنَّ التدينَ فطريٌّ، ورغم أنَّ العقل يستطيع أن يتوصل إلى الإيمان بوجود خالق عظيم مدبر لهذا الكون، إلا أنَّ الإنسان قد تعترضه أمور تنحرف به عن الصواب، منها: الشيطان، هوى النفس، حبُّ الدنيا، الكبر، طول الأمد وعدم التذكير والغفلة، هجران القرآن، قرناء السوء، الانسياق الجماعي...

(1) الربيع، ج3، باب [5] السُّنَّةُ فِي التَّعْظِيمِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فيما رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ﷺ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، رقم 823.

(2) لو ترك أمر العبادة للعقل البشري وحده لضلَّ، ولعمل أموراً يظنُّها تقرباً إلى الله بينما هي كفر صراح، أو معصية، مثال ذلك: عبادة الأصنام التي اعتقد فيها عبادة ما أنَّها تقرَّبهم إلى الله، بدعوى أنَّها طاهرة من كُلِّ معصية، أو أنَّها ترمز إلى عباد صالحين يستشفعون بهم إلى الله. وكالطواف عراة بدعوى التقرب إلى الله على الهيئة التي خلُقوا بها دون الثياب التي عصوا الله فيها، إلى غير ذلك ممَّا تزينه النفس والشيطان من مبررات للمعاصي...

العارض	الدليل	طريقة مقاومته
الكبر	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 34)، فالكبر كان ما عصي الله به. ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: 14).	تذكر أصل الإنسان: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (المرسلات: 20). وتذكر ضالته أمام عظمة الله الخالق: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ﴾ (النحل: 17) ⁽¹⁾
الشیطان (2)	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: 19).	﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: 200).
الجهل ⁽³⁾	﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: 6 - 7).	التسلح بالعلم النافع، وأعظم علم هو العلم بالله، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: 19).
الغفلة	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: 179).	﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 205).

(1) على المؤمن أن يتذكر أن الكبرياء خاص بالله تعالى، ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجاثية: 36 - 37).

(2) ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: 53).

(3) آيات حول جهل الإنسان:

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (تكررت 11 مرة: الأعراف: 187؛ يوسف: 21، 40، 68؛ النحل: 38؛ الروم: 6، 30؛ سبأ:

28، 36؛ غافر: 57؛ الجاثية: 26). ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أو ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (تكررت 15 مرة).

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: 24).

﴿بَلْ أَدَارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ (النمل: 66)

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: 7)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 56).

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان: 38 - 39).

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: 18).

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (تكررت 4 مرات: التوبة: 41؛ العنكبوت: 16؛ الصف: 11؛ الجمعة: 9).

ثالثاً : جملة التوحيد وتفسيرها

1- جملة التوحيد :

أ- تعريفها :

هي: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وأنَّ ما جاء به حقٌّ من عند الله». ومعناها: أقرُّ وأعتقد جازماً بلا شك ولا ريب أن لا معبود بحق إلا الله... إلخ.

وتسمَّى أيضاً: كلمة الإخلاص، وكلمة الشهادة، وسمّاها القرآن الكريم: كلمة التقوى، والكلمة الطيبة، والقول الثابت، والطيب من القول...

وسمّاها الإباضية بالجملة لأنها العبارة التي يتلفّظ بها عند الدخول في الإسلام، ولشمولها كليات الإيمان.

وأهل الجملة هم كلُّ من نطق بالشهادتين، موفياً كان أم غير موفٍ، أي الموحّدون.

ب- وجوبها :

هي أوّل ما يجب على المكلف معرفته. ومن جاء بالجملة كاملة، وجاء بالعمل، كملّ توحيداً، ومن أنكرها، أو أنكر أي جزء منها فقد أشرك. ودليل وجوبها قوله تعالى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (التغابن: 8) .

ويجزئ في التوحيد النطق بالجزئين الأوّلين من الجملة؛ لأنّ الإيمان بالرسول ﷺ يقتضي التصديق بما جاء به.

ج- فضلها :

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: 18) . وقدّم كلمة التوحيد على الاستغفار إذ قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد: 19) .

وقال ﷺ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»⁽¹⁾.

د- أحكامها :

كلُّ من نطق بها فهو معصوم الدم والمال والعرض، قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»⁽²⁾. ويصلى خلفه، ويصلى عليه إذا مات، قال ﷺ: «الصَّلَاةُ جَائِزَةٌ خَلْفَ كُلِّ بَارٍّ وَفَاجِرٍ، وَصَلُّوا عَلَى كُلِّ بَارٍّ وَفَاجِرٍ». (رواه الربيع، ج3/ رقم 776).

(1) رواه الترمذي وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ إِبرَاهِيمَ وَقَدْ رَوَى عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مُوسَى بْنِ إِبرَاهِيمَ هَذَا الْحَدِيثُ». كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، رقم 3383.

(2) رواه الربيع، في كتاب الجهاد باب [17] جامع الغزو في سبيل الله، رقم 464. والبخاري في كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، رقم 25.

2- تفسير الجملة :

المراد بتفسير الجملة تفصيل أجزائها، وهو منقسم إلى قسمين:

أ- التفسير الاعتقادي:

هو ما تُعبدنا باعتقاده من تفاصيل الإيمان؛ كصفات الله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، والخوف والرجاء، والولاية والبراءة والوقوف.

ب- التفسير العملي:

هو الوفاء بكل ما تستلزمه عقيدة التوحيد من الأعمال الصالحة، بامثال الأوامر، واجتناب النواهي.

رابعاً : ما يسم جهله وما لا يسم

أ- ما لا يسم جهله :

ما لا يسم جهله هو العلم الواجب في دين الله تعالى، ولا يُعذر جاهله من الاعتقادات كجملة التوحيد وتفسيرها. والإيمان بوجود الله تعالى مما لا يسم جهله طرفة عين.

ب- ما يسم جهله :

أي ما يُعذر المكلف في الجهل به. وهو ثلاثة أنواع :

1- ما يسم جهله ما لم تقم الحجة، وذلك كمعرفة نبي من الأنبياء أو ملك من الملائكة، ومن أنكره أو شك فيه بعد قيام الحجة فقد أشرك.

2- ما يسم جهله إلى حين مجيء وقته، وذلك كالفرائض الموقوتة، من صلاة وزكاة وصيام وحج، فيعذر المكلف في جهلها ما لم يحزن وقتها.

3- ما يسم جهله أبداً، وذلك كالعلوم التي هي فروض كفائية، (مثل: علم المواريث، وأحكام القصاص)، وكالجهل بالمعاصي (مثل الربا).

ويشترط في ما يسم جهله ما يأتي:

- أن لا ينكر شيئاً منها إذا قامت عليه الحجة. - أن لا يتقوّل فيها الكذب، فيحلّل الحرام، أو يحرمّ الحلال.

- أن لا يقترب معصية منها.

وإن فعل شيئاً من ذلك فهو غير معذور.

المرجع: كتاب قواعد الإسلام: معرفة ما لا يسم جهله طرفة عين: 295/1؛ ما لا يسم جهله إلى الورود: 296؛ ما يسم جهله أبداً: 298.

قواعد منهجية في التعامل مع قضايا العقيدة

القاعدة الأولى: «العقيدة لا تبني إلا على اليقين»:

قضايا العقيدة قطعية يقينية لا شك فيها، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: 36). والظن مرفوض في مجال العقيدة قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (يونس: 36). وينبغي أن لا يكون الإيمان عن مجرد التقليد والاتباع.

لذلك فإنه يجب: أن تكون الأدلة المعتمدة، والمنهج المتبع يقينيين قطعيين.

أما الأدلة فمنها النقلية، ومنها العقلية.

فالنقلية تشمل القرآن والسنة.

فأما نصوص القرآن الكريم فهي قطعية لا شك أنها من عند الله. وأما نصوص السنة فمنها القطعي المتواتر، ومنها الآحادي، وهو لا يفيد اليقين، يجب العمل به في الفقه، وقد يستأنس به في العقيدة، ولكن لا يعتمد عليه وحده.

والمنهج يجب أن يكون قطعياً، أي سليماً من المغالطات، ومن سوء الفهم.

ونوضح ذلك في الشكل الآتي (في الصفحة الموالية):

القاعدة الثانية: «خبر الآحاد يوجب العمل ولا يوجب العلم»:

الحديث الآحادي قسم من أقسام الحديث الصحيح. وهو ما اتصل سنده إلى النبي ﷺ، غير أنه لم يستوف شروط المتواتر. ويُدرج بعض العلماء الحديث المشهور ضمن الخبر الآحادي أيضاً.

خبر الواحد يفيد الظن، فيؤخذ به في الفقه، ولكنه لا يوجب اليقين؛ فلا يؤخذ به لإثبات العقيدة؛ نظراً لما يأتي :

1- إن احتمال الخطأ والوهم قائم وإن كان مرجوحاً؛ فالسنة النبوية لم تدون إلا بعد زهاء قرن من وفاة

الرسول ﷺ.

2- إن الأخذ بالآحادي في الاعتقاد يلزم القطع بالنقيضين عند تعارض الأخبار، وهو مستحيل. كتعارض

الآحاديث التي تثبت رؤية الله يوم القيامة، فمنها ما يوحى بأنها في المحشر للمؤمنين والمنافقين، ومنها ما يفيد أنها في الجنة للمؤمنين فقط.

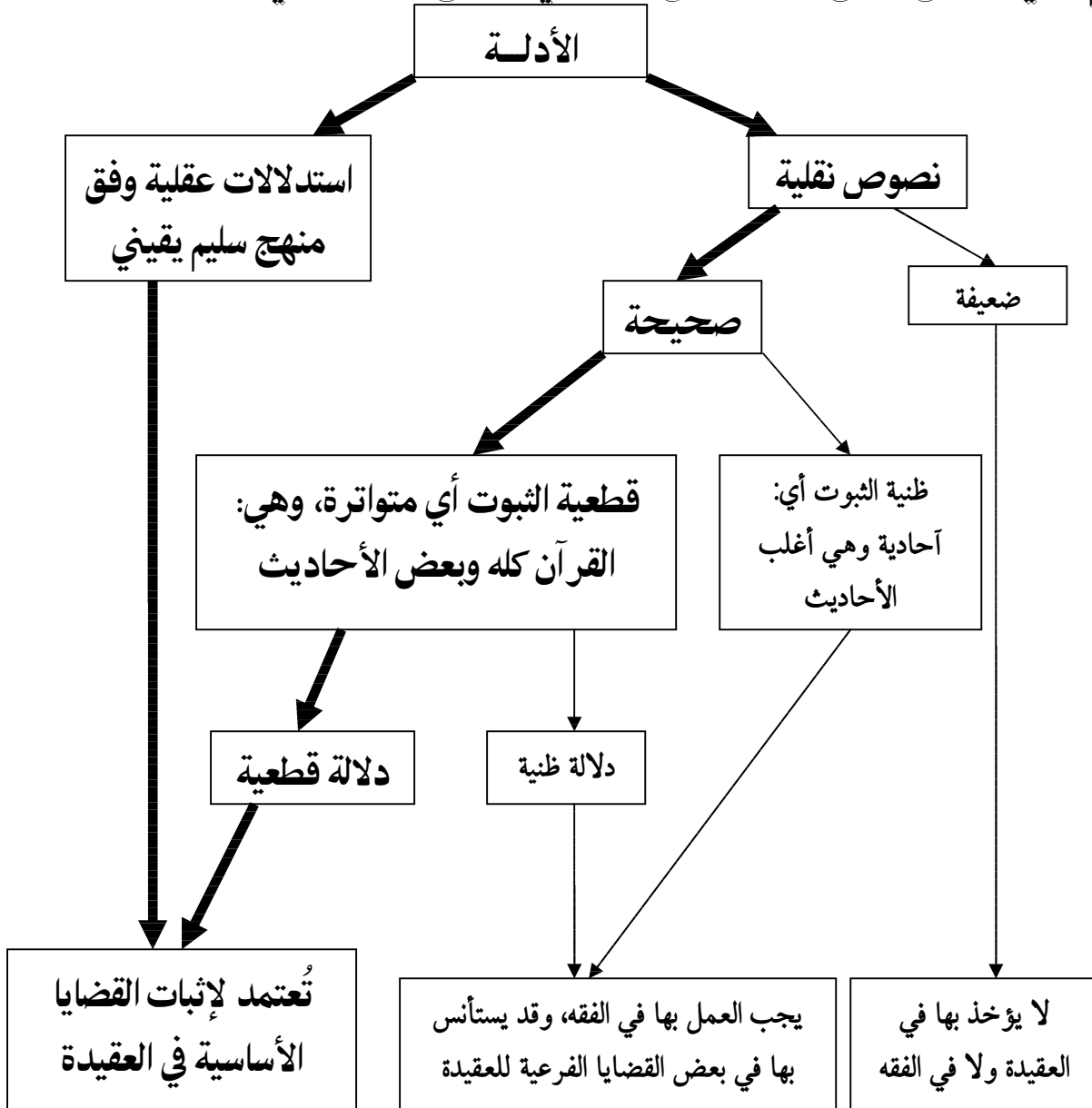
3- إن كثيراً من الآحاديث الأحادية تناقض صريح القرآن - وهو متواتر - كأحاديث إثبات الشفاعة لأهل الكبائر،

أو أحاديث الخروج من النار.

ورغم أن الحديث الآحادي ظني الثبوت، فإن الإباحية يقبلونه في الاعتقاد للاستئناس فقط، لا للإثبات، ما لم

يعارض دليلاً أقوى منه.

رسم بياني يوضح منهج التعامل مع الأدلة في الشرع عموماً، وفي العقيدة خصوصاً



القاعدة الثالثة: «عدم التصور أو التخيل لا يعني عدم الوجود» :

إنَّ العقل البشري لم يصل إلى إدراك حقيقة كثير من الأشياء التي يعايشها ويؤمن بها، ومنها الروح التي يحيى بها، ومع ذلك لا يستطيع إنكار وجودها. فكذلك لا يمكن له إنكار وجود الله تعالى لمجرد أنه لم يتمكن من إدراك حقيقته، وهكذا يمكن القول في جميع القضايا الغيبية.

القاعدة الرابعة: «الأسلوب البشري عاجز عن التعبير الدقيق عن قضايا الغيب»:

إنَّ التعبيرات البشرية محدودة بالزمان والمكان، وإدراك الحواس، لذلك فإنَّ كثيراً من الألفاظ لا تصلح للتعبير الدقيق عن قضايا الغيب، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بدقائق المسائل الإلهية⁽¹⁾.

(1) قال الشيخ البوطي: «ولا ريب أنَّ ساحة التعبير تدقُّ أمام الإنسان عندما يريد أن يتحدث عن الله وصفاته وأفعاله، ويخوض في دقائق المسائل الإلهية؛ إذ إنَّ كثيراً من الألفاظ لا تصلح للتعبير بها في هذا المقام، بسبب أنها مصوغة للدلالة على حدود وأبعاد وتحيزات

خصائص العقيدة الإسلامية

خصائص العقيدة الإسلامية هي الأمور التي تمتاز بها عن غيرها من العقائد.

وأولى هذه الخصائص هي: الربانية؛ وتتفرع عنها الخصائص الأخرى وهي: الموافقة للعقل وللطبيعة، الشمولية،

الوضوح، التوازن.

1- الربانية :

أ- التعريف:

الرباني هو المنسوب إلى الرب جلّ جلاله، قال تعالى: ﴿...كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: 79) ، أي متبعين لأوامره في عقيدتكم وتشريعاتكم وسلوككم.

وكون العقيدة ربانية من جهتين: المصدر والغاية:

- أما مصدر العقيدة الإسلامية فمن عند الله تعالى. وهي العقيدة السماوية الوحيدة الباقية على أصلها الرباني لم تحرف، لأن الله عز وجل تكفل بحفظ أصلها الأول، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9) ، وقال تعالى عن أصلها الثاني وهو الرسول ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: 3 - 4) .

- أما غايتها، فهي تحقيق عبودية الإنسان المطلقة لله عز وجل، ونيل مرضاته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56) .

ب- أهمية هذه الخاصية:

1- أنها تحمل الكمال، لأن الله تعالى متصف بالكمال المطلق.

2- أنه لا يمكن أن يعتريها شيء من الباطل مطلقاً، كما قال الله تعالى عن كتابه العزيز: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42) .

3- أنها تحقق عمارة الكون لأنها صدرت من الخالق، وهو أعلم بما يصلح لمخلوقاته؛ قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: 14) . بخلاف غيرها من العقائد البشرية فإنها قاصرة بحسب الأفهام والمدارك المحدودة لأولئك البشر وبحسب أهوائهم.

ج- نتيجة هذه الخاصية:

1- أن يسلم المؤمن بما ورد في النصوص، ولا يقحم العقل في مناقشة ما لا يمكن له التوصل إلى تصوّره، بغير دليل شرعي أو حسيّ.

=

هي في جملتها عوارض للمخلوقين». البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، ص8.

- 2- أن يكون الشرع هو الحكم في كل حياته وسلوكه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: 65) .
- 3- أن يتحرر الإنسان من عبوديته لعدوه الشيطان، ولأخيه الإنسان، ولشهوته وماله، فلا عبودية إلا لله وحده.

2- موافقة العقل والفطرة :

العقيدة الإسلامية موافقة لعقل الإنسان وفطرته، ويتجلى ذلك فيما يأتي:

أ- في أساسها وهو التوحيد، وهذا موافق للعقل والفطرة؛ فكل ما يخالف التوحيد يصطدم معهما، فمثلاً : اعتقاد وجود إلهين يتناقض مع ما نراه من نظام وتناسق بديع في الكون. أو اعتقاد التثليث (الأب وروح القدس والابن المسيح عيسى) عند النصارى، يعني $1=3$ ، وهذا أمر لا يتقبله العقل!.

ب- في محاربة الخرافات والأباطيل التي قد يأخذها المرء بالتقليد الأعمى للسابقين أو الضالّين، وإثبات الحقائق الإيمانية بالبراهين والحجج العقلية والنقلية القاطعة.

3- الشمولية :

العقيدة الإسلامية شاملة لكل ما يتعلق بهذا الكون. فالإيمان بالأركان الستة يتناول:

أ- ما يتعلق بالخالق وما يتعلق بالمخلوق.

ب- ما يدركه الإنسان بالحواس كالأنبياء والرسول... وهو عالم الشهادة، وما لا يدركه الإنسان بالحواس، كالملائكة واليوم الآخر، وهو عالم الغيب.

ج- مبدأ الإنسان، ومعاشه، ومصيره.

فالعقيدة الإسلامية تعطينا التصور الصحيح عن كل هذه الأمور.

4- الواقعية:

العقيدة عند الوثنيين مادية سخيفة لا يقبلها العقل، ولا يؤيدها الواقع.

أما العقيدة في الإسلام فهي ثلاثم الواقع. مثال ذلك :

أ- الله تعالى متّصف بكلّ صفات الكمال، كالقدرة، والعلم، والحكمة، والإرادة... وله الأسماء الحسنى، ونحن نرى ونلمس آثار هذه الأسماء والصفات في واقعنا المعيش.

ب- الله تعالى يرشدنا في كثير من الآيات إلى التأمل في الكون المحسوس، للوصول إلى توحيد الله وتركيز الإيمان في القلب. والشاعر يقول:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

5- الوضوح:

العقيدة الإسلامية واضحة المعالم، سهلة التصور، لا خفاء فيها ولا غموض. بخلاف العقيدة في الفلسفة اليونانية : طلاس وتجريدات لا يفهمها إلا المختصون، بل يتخيلونها بالتخمين البعيد عن الواقع المحسوس.

وهي واضحة من حيث مبادئها، وأولها توحيد الله تعالى، وتنزيهه عن النقائص والأشباه والشركاء. بخلاف ما عند بعض المجتمعات من عقائد باطلة غامضة، كالتثنية والتثليث⁽¹⁾، والنرفانا⁽²⁾ وتناسخ الأرواح⁽³⁾.

وهي واضحة من حيث التكليف ومسؤولية كل إنسان عن عمله. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: 38). بخلاف ما عند النصارى، في اعتقادهم أن كل إنسان يتحمل وزر خطيئة آدم، وأن المسيح قد صلب وخلص البشرية من خطيئتها الأولى.

6- التوازن :

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: 143)، ومظاهر التوازن في العقيدة الإسلامية كثيرة، منها:

- التوازن بين الإيمان بعالم الغيب وعالم الشهادة. خلافا لما عند الماديين قديما وحديثا، المنكرين لما وراء المادة (الميتافيزيقا).

- التوازن في مصادر المعرفة: بين العقل والنقل، أي بين الوحي وبين النظر العقلي.

- التوازن بين الإيمان بمشيئة الله المطلقة وبين ثبات السنن الكونية، أي بين التوكل على الله، وبين اتخاذ الأسباب.

- التوازن بين سمو الروح وسلامة الجسد. أي بين تزكية النفس، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: 9)، وبين أداء الحقوق الواجبة، كما في الحديث: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلْأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»⁽⁴⁾.

- التوازن بين العمل للأخرة والعمل للدنيا، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: 77).

(1) التثنية: اعتقاد وجود إلهين: إله الخير وإله الشر، الظلمة والنور. والتثليث هو ما عند النصارى.

(2) النرفانا: من عقائد الهندوس، وهو الوصول بطريق التعبد بتعذيب النفس إلى الصفاء الروحي.

(3) تناسخ الأرواح: من عقائد الهندوس أيضاً، وهو أنه إذا مات الشخص الطيب حلت روحه في شخص آخر طيب، وأما السيئ فقد تحل روحه في حيوان...

(4) هذا من كلام سلمان الفارسي لأبي الدرداء، وقد أقره النبي ﷺ. رواه البخاري في كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكليف للضيف، رقم 5788.

وفي حديث آخر: كان عبد الله بن عمرو بن العاص يبالغ في عبادته، فبلغ خبره الرسول ﷺ، فقال له: أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟ قَالَ: إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ عَيْنُكَ، وَنَفِهْتَ نَفْسُكَ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا، وَلْأَهْلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَطِرْ، وَفَمُ وَتَمُ، (رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، حديث 1102). وقوله: «هَجَمْتَ عَيْنُكَ»: أي غارت ودخلت في موضعها. «وَنَفِهْتَ نَفْسُكَ»: تعبت وكلت.

الإيمان بالله تعالى وصفاته

أولاً - وجود الله تعالى⁽¹⁾:

أ - وجود الله فطري في الإنسان:

وجود الله تعالى من البدايات التي يدركها الإنسان بفطرته، وليس أمراً معقداً يحتاج إلى التفكير العميق. قال تعالى: ﴿إِنِّي اللَّهُ شَكَتُ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: 10) ؛ لذلك كانت مهمة الرسل الأساسية إثبات الوجودانية، فالأمم غالباً ما تؤمن بوجود إله، ولكنها قد لا تهتدي إلى العبادة الصحيحة، قال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 25) .

ومع بداية وجود الله فقد جاءت المدينة الغربية تجادل في وجوده عز وجل.

ب - دلائل الخلق:

لم يوجد أحد من البشر ادعى خلق الإنسان أو الحيوان أو النبات أو خلق السماوات والأرض، وكل من ادعى الألوهية لم يستطع ادعاء ذلك. ومن المقطوع به أن شيئاً لا يحدث من تلقاء نفسه، وقد قرّر القرآن الكريم هذا الدليل فقال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: 35 - 36)⁽²⁾.

من البدهي أن كل صنعة تدل على وجود صانع، وكل بناء يدل على وجود باني، وكل كتابة تدل على وجود كاتب... الخ. قيل لأعرابي: ما الدليل على أن لهذا العالم صانعاً؟ فقال: إن البعرة تدل على البعير، وأثر القدم يدل على المشير، فهيكلي علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على الصانع الخبير؟!⁽³⁾.

ويسمى هذا الدليل أيضاً بدليل الإبداع، أو دليل بطلان الرجحان من غير مرجح، أي أن ترجيح كفة الوجود على كفة عدم الوجود أي فاعل لهذا الترجيح، يعتبر أمراً باطلا لا يقبله العقل.

ج - دلائل العناية:

«لو دخل المرء داراً فوجد فيها غرفة مهيأة للطعام، وأخرى للنمائم، وأخرى للنظافة، وأخرى للضيافة... الخ لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده، وأن هذا الإعداد النافع لا بد قد نشأ عن تقدير وحكمة، وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل.

(1) من المراجع الهامة في الموضوع: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين لمصطفى صبري. وكتاب الإسلام يتحدّى، وكتاب الدين في مواجهة العلم لوحيد الدين خان. والأدلة المادية على وجود الله لمحمد متولي الشعراوي. وكبرى اليقينيّات الكونية لمحمد سعيد رمضان البوطي. وكتاب: الله بين الفطرة والدليل لمحمد حسن آل ياسين.

(2) وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (النحل: 20) .

(3) أبو زكرياء الجناوني: الوضع مختصر في الأصول والفقه، ص 4-5. وحول دليل الحدوث ينظر كذلك: بوقلي: الإمام ابن يوسف السنوسي، ص 176-183.

والناظر في الكون وآفاقه، والمادة وخصائصها يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة، شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب...

وما وصل إليه علم الإنسان من أسرار العالم حاسم في إبعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق⁽¹⁾.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164).

د- بطلان الصدفة:

ألا يمكن أن يكون هذا الكون قد وجد بالصدفة؟ بحيث إن ذرات هذا العالم اجتمعت فتكونت الجزيئات، ثم الأجسام، ثم تطورت حتى صارت على ما هي عليه الآن؟... الجواب عليه من عدة أوجه:

- الأول: نظرية التطور بهذا الطرح خاطئة، وعلى فرض صحتها، يبقى التساؤل مطروحا: من أوجد تلك الذرات؟ ومن الذي حركها وجمع بينها لتكون الأجسام المختلفة؟ من غير الله سبحانه وتعالى؟

- الثاني: إن القول بالمصادفة مصادمة صريحة للعقل؛ لأن الصدفة يستحيل أن توجد نظاما. فمثلا: إذا نشرت حروفا مطبعية، وكررت ذلك ملايين المرات، فهل ستتشكل - بالصدفة - قصيدة بأوزانها وبلاغتها؟... إنه أمر مستحيل. وإذا كان هذا مستحيلا للقصيدة الصغيرة، فكيف بنظام الكون العظيم الدقيق؟ وما بالك بما ركب الله تعالى في الإنسان والحيوان والنبات من نظام عجيب بالغ الإتقان، وأجهزة دقيقة لها وظائف محددة، أيكون كل هذا بمحض الصدفة؟ إن هذا لهو الهذيان بعينه!⁽²⁾

د- القرآن الكريم والدعوة إلى النظر واستعمال العقل لمعرفة الله:

تدل الآيات المنبثة في الكون على وجود الله وعلى عظمته وقدرته، وقد دعانا القرآن إلى النظر والتأمل فيها فقال مثلا: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: 17-20).

ويدل إعجاز القرآن الكريم على صحته، وعلى وجود الله، ﴿سُنُرِهِمْ نُورٌ أَلَيْسَ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: 53). وقد أمرنا بتدبره: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82).

(1) الغزالي: عقيدة المسلم، 16 - 17.

(2) الصدفة كلام غير علمي، فلو سأل الأستاذ الطالب: لماذا التقى الجسمان المتحركان (أ) و(ب) في نقطة (ج) وأجاب أحد الطلبة بأنه كان صدفة لضحك منه الجميع!!

ثانيًا : صفات الله تعالى

المنطلق:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11). وقال أيضاً: ﴿يُسَمِّى اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص). إِنَّ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مَرْجِعُهُ إِلَى هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ. وخلاصة ما يجب عَلَى الْمُكَلَّفِ معرفته في حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى: أَنْ يَعْلَمَ «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُتَّصِفٌ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمَنْزَعٌ عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ النِّقْصَانِ، إِذْ إِنَّ الْأُلُوهِيَّةَ تَسْتَلْزِمُ اتِّصَافَهُ بِالْكَمَالِ الْمَطْلُوقِ».

1- الْوَحْدَانِيَّةُ وَأَدِلَّتُهَا:

معنى الْوَحْدَانِيَّةُ: هي نفي التعدُّد في ذاتِ اللَّهِ تَعَالَى وصفاته وأفعاله.

الدَّلِيلُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: 22)، وَيُسَمَّى هَذَا الدَّلِيلُ دَلِيلُ التَّمَانَعِ ومعناه: لو تعدَّدتِ الْآلِهَةُ لاختلَّ نِظَامُ الْعَالَمِ، وَذَلِكَ كَأَنْ يَرِيدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِيجَادَ شَيْءٍ، وَيَرِيدُ الْآخَرُ إِعْدَامَهُ، وَحِينَئِذٍ إِمَّا أَنْ يَحْصُلَ الْأَمْرَانِ فَيَجْتَمِعَ النِّقِیْضَانِ، وَهُوَ مُحَالٌ، أَوْ يَحْصُلَ أَحَدُهُمَا فَيُظْهِرَ عَجْزَ الْآخَرِ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلْأُلُوهِيَّةِ، أَوْ يَتَصَادَمَا فَلَا يُوْجَدُ هَذَا وَلَا ذَاكَ فَيُظْهِرُ عَجْزَهُمَا مَعًا.

وقد يفترض أحد وجود إلهين اثنين إِلَّا أَنَّهُمَا اصطِلحا في تسيير هَذَا الْكَوْنِ فلم يقع الفساد. والجواب أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ حَالُهُمَا عَنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ:

1- إِمَّا أَنْ يَسْتَقِلَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمُلْكِهِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ. وَلَكِنْ هَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَاجِزًا عَنْ التَّصَرُّفِ فِي مَلِكِ الْآخَرِ، وَالْعَاجِزُ لَيْسَ بِإِلَهِ.

2- وَإِمَّا يَتَّفِقَا عَلَى كَيْفِيَّةِ تَسْيِيرِ الْخَلْقِ فَلَا يَقَعُ الْفَسَادُ. وَلَكِنْ هَذَا يَقْتَضِي أَنْ لَا يَفْعَلَ أَحَدٌ مِنْهُمَا شَيْئًا إِلَّا بِمُوافَقَةِ الْآخَرِ، وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ أَنْ لَا تَكُونَ لَهُمَا إِرَادَةٌ مُطْلَقَةٌ، وَإِلَّا هَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَعَالًا لِمَا يَرِيدُ، وَإِرَادَتُهُ مُطْلَقَةٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِإِلَهِ. فَثَبَتَ أَنَّ لِلْوُجُودِ إِلَهًا وَاحِدًا هُوَ الْخَالِقُ وَالْمُدَبِّرُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ.

وهَذَا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ يُلْحِصُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (المؤمنون: 91).

2- مَا يَتَرْتَبُ عَنْ الْوَحْدَانِيَّةِ :

أ- نفي المشابهة للمخلوقات:

يقول الشيخ السالمي:

«في الذات والصفات والأفعال مخالف لنا بِكُلِّ حَالٍ»

فالله تعالى واحد في ذاته وصفاته، وأفعاله، أي لا يشبهه أحد في شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. وواحد في عبادته، أي لا يَصِحُّ أَنْ يَشْرَكَ مَعَهُ غَيْرُهُ فِي الْعِبَادَةِ.

«لو أَنَّهُ مُشَابِهٌ فِي ذَاتِهِ جاز عَلَيْهِ وصف مخلوقاته»

أي لو كان تَعَالَى مُشَابِهًا فِي ذَاتِهِ لجاز عَلَيْهِ ما يجوز عَلَى مُشَابِهِهِ من الصفات، فلو وَصَفَ اللهُ تَعَالَى بالتجسيم لوجب أَنْ يَتَّصِفَ بالطول والعرض والقصر ونحو ذَلِكَ، وإذا جازت عَلَيْهِ هَذِهِ الصفات وجب أَنْ يكون محاطًا به محتاجًا لغيره من المكان ونحوه، والمحتاج المفتقر لغيره ليس بإله.

ب- نفي العجز والحلول في الزمان والمكان عن الله تَعَالَى:

إِنَّ الله تَعَالَى القدرة المطلقة، فلا يحتاج إِلَى المعونة، إِذْ لو كان تَعَالَى معانًا فِي أمره لكان ناقصًا، ومن كان عاجزًا ناقصًا فليس بإله.

إِنَّ الله تَعَالَى هو خالق الزمان والمكان، ويستحيل أَنْ يكون حالًا فِيهما، لِأَنَّ كُلَّ حالٍّ فِي الزمان محدثٌ، وكلُّ حالٍّ فِي المكان محدود به، والمحدث والمحدود عاجز...

ج- نفي الطمع فِي إدراك ذاته تَعَالَى:

يستحيل إدراك كُنْهِ (ماهية أو حقيقة) ذاته تَعَالَى، لذا فعلى المؤمن أَنْ لا يتفكر فِي ذات الله، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يصرف نظره إِلَى التدبُّر فِي مخلوقاته الدَّالَّةُ عَلَى كمال صفاته تَعَالَى وقدرته العظيمة، قال ﷺ: «تفكروا فِي الخلق ولا تتفكروا فِي الخالق»⁽¹⁾.

فَاللهُ جَلَّ بِخِلَافِ ذَلِكَ	وكلُّ ما صَوَّرْتَهُ بِبِالِك
مِمَّنْ سِوَاهُ وَلِذَاكَ قَالُوا	فَعَلِمَ كُنْهُ ذَاتِهِ مُحَال
وَالخَوْضُ فِي إِدْرَاكِهِ إِشْرَاك	العجز عن إدراكه إدراك

د - نفي رؤية الله تَعَالَى فِي الدنيا والآخرة:

جَوُزَتِ السُّلُفِيَّةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ وَالْمَاتَرِيذِيَّةُ (أهل السُّنَّة) رُؤْيَا اللهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْإِبَاضِيَّةُ وَالْمَعْتَزِلَةُ وَالشَّيْعَةُ يَعْتَقِدُونَ اسْتِحَالَتَهَا فِي الدَّارَيْنِ. قال الشيخ السالمي:

ورؤية الباري من المحال	دنيا وأخرى احكم بِكُلِّ حال
لأنَّ مِنْ لَازِمِهَا التَّمْيِيزُ	والكيف والتبعيض والتحيُّزُ
فِي جِهَةٍ تَقَابُلِ الَّذِي نَظَرُ	فَهَذِهِ وَمَا أَتَى بِهِ السُّورُ
من قول لا تدركه الأبصار	ولن تراني فانتفى الإبصار
لأنَّهَا مَدْحٌ لَهُ وَلَا يَصِحُّ	زوال ما به الإله ممدح
لو جاز أَنْ يزول مدحه لزم	تبديل عِزِّهِ بِذُلٍّ وَشُتْمٍ

أي إِنَّ رُؤْيَاَ الْبَارِي تَعَالَى مما ينفيه العقل والنقل، فَإِنَّ من شروط الرؤية: أَنْ يكون المرئيُّ متميِّزًا، أي متشخصًا،

(1) رواه الإمام الربيع فِي مسنده، ج3/باب [7] النهي عن الفكرة فِي الله عَزَّ وَجَلَّ، حديث رقم، 827. وينظر فِي نفس المعنى الأحاديث رقم: 823، 828، 829.

وذا كيف، أي لون، وذا أبعاد، أي أجزاء، سواء رُئي كله أو بعضه. ومتحيزًا في جهة أو مكان، وكل هذه أمور مستحيلة في حقه تعالى.

أما البراهين النقليّة فمنها:

- قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: 103) فنفي إدراك الأبصار لذاته عز وجلّ يعتبر من الصفات الكمالية التي امتدح الله بها، وضدّها يعتبر نقصًا، ولا يصحُّ أن يزول شيء من الكمالات الإلهية، ولا أن يتّصف بشيء من أضدادها النقصانية، كما لا يصحُّ أن يتّصف الله تعالى بضدّ ما في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: 255).

- قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ (الأعراف: 143)، فالنّ تفيد النفي والتأييد والتأييس. كما أن الله تعالى علّق الرؤية بالمستحيل لما قال له: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فاستقرار الجبل في علمه تعالى محال، والمعلّق بالمحال محال مثله.

أما قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (القيامة: 22-23)، فمعناها: منتظرة ثواب ربها، بدليل الآية بعدها: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (الآية: 24-25)، أي تنتظر ما يقصم فقارها، والنظر بمعنى الانتظار كثير في القرآن وفي كلام العرب.

وأما الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ في إثبات رؤية الله عز وجلّ، فهي مضطربة، فإنّ منها ما يزعم أنها في الموقف للمؤمنين والمنافقين، ومنها ما يوحى بأنها خاصة بالمؤمنين في الجنة. فضلاً عن أنها أحاديث أحادية لا تفيد اليقين، ولا تقوى على معارضة صريح القرآن الكريم.

3- تقسيم صفات الله تعالى:

يمكن تقسيم الصفات في حق الله بطريقتين:

- الطريقة الأولى: إلى: 1- صفات ذاتية. 2- صفات فعلية. 3- صفات ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار.

- الطريقة الثانية: إلى: 1- صفات واجبة. 2- صفات جائزة. 3- صفات مستحيلة.

أ- التقسيم الأوّل:

1- الصفات الذاتية: هي الصفات الكمالية التي يجب أن يتّصف الله تعالى بها، ويستحيل أن يتّصف بضدّها غالباً⁽¹⁾، كالوجود والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة، ولو اختلف المحلّ، فلا يقال: علّم الله كذا وجعل كذا، ولا قدّر على هذا وعجز عن ذلك...

2- الصفات الفعلية: هي الصفات التي يمكن أن يتّصف الله تعالى بها وبضدّها غالباً عند اختلاف المحلّ، كالرازق، المحيي المميت، الخافض الرافع، القابض الباسط، كأن يوسع في رزق زيد ويضيّق في رزق عمرو، وأن يرزق العلم عمراً ويخلق الجهل لزيد...

(1) قلنا: غالباً؛ تحرّزاً من كون بعض أسماء الله الحسنى (أي الصفات الذاتية) وردت بالضدّين، كالأول والآخر، والظاهر والباطن.

3- الصفات الذاتية باعتبار والفعليّة باعتبار: كحكيم، فباعتبار أنها تعني نفي العبث عنه تعالى هي صفة ذات، وباعتبار أنها تعني واضع الأشياء في مواضعها اللاتئة بها صفة فعل. وكذا: "سميع" فإنه بمعنى نفي الصمم عنه تعالى صفة ذات، وبمعنى قابل الدعاء صفة فعل، وهكذا...

ب- التقسيم الثاني:

- الواجب عقلا: ما لا يُتصور في العقل عدمه.
- والمستحيل عقلا: ما لا يُتصور في العقل وجوده.
- والجائز (أو الممكن) عقلا: ما لا يحيل العقل وجوده ولا عدمه، أي يستوي فيه إمكان الوجود وإمكان العدم.
- وعلى هذا الأساس تم تقسيم صفات الله تعالى إلى ما يأتي:
- 1- صفات واجبة: وهي صفات الكمال الذاتية: كالوجود والقدرة والبقاء والحياة والعلم والإرادة والسمع والبصر.
- 2- صفات جائزة: هي صفاته الفعلية، لجواز أن يفعلها فيوصف بها، وأن لا يفعلها فلا يوصف بها.
- 3- صفات مستحيلة: هي أضداد الصفات الواجبة، كالحدوث والعدم والفناء والموت والجهل والعجز والإكراه والصمم والعمى، ومثابهة المخلوقات مطلقا.

4- توقيف الأسماء والصفات :

« الله » : اسم علم لا يطلق إلا على الذات الإلهية، وهو الاسم الأعظم عند الإمام جابر. والله تعالى أسماء أخرى، إذ يقول عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: 180). وفي الحديث: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽²⁾ ومعنى «أحصاها»: حفظها وفهم معناها وعمل بمقتضاها.

وعليه فإن الأصل في أسماء الله تعالى وصفاته أنها توقيفية، أي لا يجوز - عند جمهور العلماء - وصفه تعالى إلا بما صرح به في كتابه، أو على لسان أحد أنبيائه.

ويمكن أن نصنف أسماء أخرى - بعد التسعة والتسعين - كما يأتي:

أ) أسماء يجوز ذكرها بشرط أن تكون مضافة إلى مفاعيلها، مثل: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾ (الأنعام: 96)، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (آل عمران: 9). فيقاس عليها قولنا: يا هادي الضال، يا كاشف الضر، يا دليل المتحيرين...الخ.

ب) أسماء يجوز ذكرها على سبيل المجاز، كأن تقول: يا سندي، وأنت تقصد: يا من أعتمد على رحمته وفضله وقوته... كما جاء في الحديث: «...اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ...»⁽¹⁾.

ج) أسماء يستحيل نسبتها إلى الله تعالى مثل: ماكر، وساخر، ومستهزئ، ورام، وغاضب، وناس، وخادع، وأمثالها

(2) رواه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثبوت، رقم 2585. 981/2-982. مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم 2677، ج4/ص2063.

(1) رواه مسلم، في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، رقم 1342، ج2/ص978.

من الأسماء المشتقة من أفعال نسبها سبحانه إلى نفسه عن طريق المشاكلة⁽¹⁾. وتجدر الإشارة إلى ضرورة اعتبار الأحوال والمقاصد عند ذكر الأسماء التي لم يرد بها التوقيف.

5- الألفاظ الموهمة للتجسيم أو التشبيه:

وردت في القرآن والسنة ألفاظ يوهم ظاهرها تشبيه الله تعالى بمخلوقاته، كالوجه واليدين واليمين والقبضة والعين والأصبعين... يجب تأويلها بما يوافق كمال الله تعالى، وتؤيده شواهد اللغة العربية. يقول الشيخ السالمي:

«فوجهه أي ذاته في قوله
واليد منه قدرة أو قل: نعم
وجده كوجهه أو قل: عظم
وعينه أي حفظه لفعله
وقبضة والاستواء ملكاً يُسم
ومكره عقوبة لمن ظلم»

أي: لا يجوز تفسير الألفاظ الموهمة للتجسيم أو التشبيه في حقّه تعالى بالجوارح المحدودة؛ لأنه:

- يستلزم التشبيه، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: 11).
- يؤدّي إلى التناقض بين آيات القرآن، وهو محال، فالله يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82).

- يوقع في أمور لا يقبلها العقل، كما إذا فسّرنا العين في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: 39) بالعين المبصرة، أي: أن موسى صنع فوقها، وهو محال أيضاً!..

جدول يُبين معاني بعض الألفاظ الموهمة للتشبيه

اللفظ	نص الآية أو الحديث	تأويله
الوجه	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: 88)	الذات
الوجه	﴿أَنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ (الإنسان: 9)	الثواب
العين	قال في شأن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: 39) وفي شأن سفينة نوح عليه السلام: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: 14)	الحفظ، والعلم
اليد	﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: 10)	القدرة
اليد	﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: 64)	نعمته الظاهرة والباطنة
القبضة	﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الزمر: 67)	الملك
اليمين	﴿وَالسَّمَاءَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ﴾ (الزمر: 67)	القدرة

(1) المشاكلة هي: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.

وهذه الأسماء المشتقة ورد ذكرها في ما يلي: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 54)، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ (التوبة: 79)، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: 15)، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: 17)، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 93)، ﴿فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ (الأعراف: 51)، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء: 142).

المجىء	﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (الفجر: 22)	أمر ربك
الاستواء	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: 5)	الملك والقهر ⁽¹⁾
الجد	﴿وَإِنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (الجن: 3)	الذات أو العظمة
المكر	﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 54)	العقوبة
الأصابع	﴿إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ...﴾ ⁽²⁾	القدرة

6- علاقة صفات الله تعالى بذاته:

صفات الله تعالى هي عين ذاته، وليست غيرها، ولا زائدة عليها. فالله تعالى سميع عليم بذاته لا بسمع وعلم مركب فيه أو زائد عليه، أي ذاته عز وجل منكشفة لها المسموعات والمعلومات انكشافاً تاماً، غير محتاجة في ذلك إلى واسطة بينها وبين المسموع والمعلوم... وهكذا سائر الصفات الذاتية، كالبصر والقدرة والإرادة والحياة...

فلو كانت صفاته تعالى غير ذاته:

- لاستلزم إما أن تكون حالة في ذاته العلية أو بعضاً منها، وكلا الأمرين باطل، لأن ذاته تعالى غير مركبة ولا متجزئة.

- ولا ستلزم افتقار الذات إلى ذلك الزائد، وذاته تعالى كاملة بنفسها غير مفتقرة إلى غيرها.

7- الأثر العملي من معرفة صفات الله تعالى:

1- تنزيه الله تعالى عن كل صفات النقص، واستشعار عظمة صفاته الكمالية؛ فإذا علمنا - مثلاً - أن الكبرياء لله وحده فإننا نتذلل له إجلالاً، ونتواضع للمسلمين رحمةً.

2- العمل بمقتضى صفاته تعالى، فإذا علم المؤمن أن الله سميع، عليم، خير... وأنه لا تفوته صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فإنه يخشى الله ويتقيه في كل أقواله وأفعاله، فلا يعمل إلا بما يرضي الله، في السر وفي العلن.

3- التخلق بمعاني بعض تلك الصفات: مثل: العفو، المغفرة، الرحمة، العزة، الحكمة...

4- إذا علم المؤمن أن الله هو الملك (ملكاً مطلقاً) وأنه هو المهيمن الجبار القهار... فلا يخاف من أحد إلا الله.

5- إذا تيقن المسلم أن الله تعالى هو الغني الذي لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية، فإنه يشفق على نفسه، ويستعد لما بعد الموت.

(1) كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام: 18)، وقال: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: 16). والقرآن يُفسرُ بعضه بعضاً.

(2) رواه مسلم. وتماثله: ﴿إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصْرَفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصْرَفِ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، رقم 2654.

مراجع الدرس:

- نور الدين السالمي: بهجة الأنوار.
- فرحات الجعيري، وعاشور كسكاس: العقيدة (2).
- محمد الغزالي: عقيدة المسلم.
- مصطفى شريفي: محاضرات في أصول الدين لطلبة السنة الأولى شريعة.

النشاط الدراسي:

س1) استخرج من الآية الآتية ما تستطيع من نعم الله على عباده. وما الدليل - على وجود الله - الذي استنبطه العلماء من مثل هذه الآية؟ قال عز وجل: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا يَشِقُّ الْإِنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿وَمَا ذَرَأَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: 5 - 18) .

س2) قال شاعر حكيم: أيا عجباً كيف يعصى الإله أبداً شاهداً. ابحث عن قائل هذه الأبيات، وأتممها، واكتب بحثاً في موضوعها.

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ - آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...﴾ (البقرة: 177)، ولقوله: ﴿- آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ - آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾ (البقرة: 285)، ولقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: 136).

التعريف:

لغة: الملائكة جمع "مَلَك"، وأصله: "مَأْلَك"، و"أَلَك" بمعنى: أرسل.

اصطلاحاً: الملائكة خلق من عباد الله من غير جنس البشر ولا الجن، لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة⁽¹⁾، ولا يماثلون بقية المخلوقات، فهم عباد أطهار مكرمون، اصطفاهم الله لخالص عبادته. وهم منزّهون عن اللهو واللغو والعبث.

صفاتهم:

- 1- لم يخلقوا من نار كالجن، ولا من الطين كالإنس، وإنما خلقوا من نور، قال ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم»⁽²⁾، وقد خلقوا قبل آدم، لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (سورة ص: 71).
- 2- هم عباد معصومون، وفي منتهى الطاعة والعبادة والإذعان، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: 6)، وقال: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (فصلت: 38).
- 3- يوصف بعضهم بالشدة والغلظة كما قال: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ (التحریم: 6).
- 4- هم أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعٍ﴾ (فاطر: 1).
- 5- يمكنهم التمثيل في صورة البشر، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم: 17)، وكان جبريل عليه السلام أحياناً يأتي الرسول ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري⁽³⁾.

(1) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف: 19)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَسْتَعْبُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: 27 - 28).

(2) رواه مسلم وأحمد عن عائشة. وهو حديث صحيح، انظر: 3238 صحيح الجامع.

(3) انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ط 1، مطبعة السعادة، مصر، 1328هـ، ج 1، ص 433.

وظائفهم:

كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِعِدَّةٍ وَظَائِفٍ مِنْهَا:

- 1- التَّسْبِيحُ لِلَّهِ وَتَعْظِيمُهُ وَالسُّجُودَ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل: 49)، وقال: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ (الرعد: 13)⁽¹⁾.
- 2- الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَعَنَ الْكَافِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: 43)، وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى: 5)، وقال في شأن الكافرين: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ﴾ (آل عمران: 87)⁽²⁾.
- 3- نقل الوحي إلى الرسل: قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: 75). والقائم بهذه الوظيفة هو جبريل عليه السلام؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (الشعراء: 193 - 194).
- 4- الاتِّصَالُ بِبَعْضِ الْعِبَادِ الصَّالِحِينَ، لِتَبْشِيرِهِمْ وَتَطْمِينِهِمْ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى﴾ (آل عمران: 39)، وقال: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: 45)⁽³⁾، وعن تطمين الصالحين قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30).
- 5- نصرة المؤمنين المجاهدين وتبشيرهم في الحرب: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبَدِّلُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ (الأنفال: 9 - 10)⁽⁴⁾.
- 6- تسجيل أعمال المكلفين من الإنس والجن: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الأنفال: 10 - 12)، وقال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 17 - 18).
- 7- حفظ الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (الأنعام: 61).
- 8- قبض الأرواح عند حلول الأجل: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: 11)، وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ (الأنعام: 61)، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (الأنفال: 50)⁽⁵⁾.

- (1) وقال أيضاً: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل: 49)، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (الزمر: 75).
- (2) وقال ﷺ عن الدعاء للمؤمنين: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث أو يقم: اللهم اغفر له اللهم ارحمه». رواه أبو داود والنسائي وأحمد، عن أبي هريرة، وهو حديث صحيح. انظر: صحيح الجامع، رقم 6727. وقال عن الدعاء على العصاة: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه». رواه مسلم والترمذي، حديث صحيح، انظر: صحيح الجامع، رقم 6034.
- (3) وقال في شأنها أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 42).
- (4) وقال أيضاً: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: 124 - 125). وقال: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (الأنفال: 12).
- (5) وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (النساء: 96)، ﴿وَلَوْ

9- تكريم أهل الجنة، والتكليف بأهل النار: قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ - آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ (الرعد: 23 - 24)⁽¹⁾. وعن التكميل بأهل النار قال: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾ (التحریم: 6) . وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المذثر: 31)⁽²⁾.

10- إرسالهم بعذاب الاستئصال لبعض الأمم الكافرة، كما في شأن قوم لوط عليه السلام: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ (النار: 31 - 33)⁽³⁾.

11- حضور مجالس الذكر، قال عليه السلام: ﴿ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده﴾⁽⁴⁾.

الآثار التربويّة للإيمان بالملائكة:

- 1- استشعار عظمة الله، باعتباره ملكاً له جنود السماوات والأرض، واستشعار مدى ضعف الإنسان وضآلته.
- 2- الاقتداء بالملائكة في عبادتهم واتباعهم المطلق لله.
- 3- تقويم سلوكنا ومراقبة الله في كل تصرفاتنا إذا تيقنا بوجود ملكين يسجلان كل أعمالنا الحسنة والسيئة.
- 4- عدم التمادي في المعاصي وزخارف الدنيا ولهوها إذا تذكرنا أن ملك الموت ينتظرنا.
- 5- غرس العزة والقوة في قلب المؤمن إذا علم أن الملائكة تنصر المؤمنين الصادقين على الكافرين.

مراجع الدرس:

- العقيدة (1): أحمد الكندي، وعاشور كسكاس. آراء الشيخ اطفيش: وينتن. منهج علم التوحيد: محمد قطب، ج 2. كبرى اليقينيّات: البوطي

- تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ - آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) ﴿ (الأنعام: 93) . وقال: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (النحل: 27 - 28) . ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (سورة محمد: 27) . وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 32) ، وقال: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: 103).
- (2) وَسَمَّى اللَّهُ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِالْخِزْنَةِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (الزمر: 71) ، وعن أهل الجنة قال: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: 73) . ويستقل خزنة النار باسم "الزبانية"، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (العلق: 17 - 18) .
- (3) وقال أيضاً: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ - آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: 158) .
- (4) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وابن حبان، عن أبي هريرة. حديث صحيح، انظر: صحيح الجامع، رقم 5509، 5608، 5748، 6577.

الإيمان بالكتب

أولاً : تعريف الكتب والصحف:

أ- لغة: الكتاب: مصدر كَتَبَ، كَالْكُتُبِ وَالْكِتَابَةِ. وأصل الكُتُب: ضُمُّ أديمٍ إلى أديمٍ بالخياطة، واستعمل عرفاً في ضمِّ الحروف بعضها إلى بعض. والمقصود بالكتاب: اسم المفعول، أي المكتوب، وهو ما خُطَّت فيه الحروف والكلمات. والصحيفة: هي الورقة المكتوبة، وجمعها صحف وصحائف. والصحيفة والكتاب مترادفان لغةً.

ب- اصطلاحاً: الكتب والصحف هي الكلام الموحى به من عند الله إلى رسله لتبليغه للناس، وعندما يُجمع ويدون يُسمى كتاباً.

ثانياً : وجوب الإيمان بالكتب:

يجب الإيمان بجميع الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسله، ويجب تخصيص القرآن منها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: 136)، ومن أنكر بعضاً منها، أو كذب بحرف منها بعد ثبوته يعتبر كافراً (كفر شرك)، قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿أَفْتَوَمِنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمُ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: 85).

ثالثاً: الوحي (إمكانيته، ضرورته، طريقه):

أ- تعريفه:

- لغة⁽¹⁾: للوحي في اللغة عدة معانٍ، منها: الإلهام الذي يلقي في روع الإنسان، الإشارة الخفية، الإلهام الغريزي، الوسوسة، ويجمع بين هذه المعاني: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه.

- اصطلاحاً: هو معرفة خص الله بها أنبياءه ورسله⁽²⁾. أو معرفة يجدها الشخص في نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله. أو هو: مخالطة الملائكة لبعض البشر خصوصاً وسراً عن الناس⁽³⁾...

ب- ضرورته:

(1) ورد في القرآن استعمالات كثيرة لكلمة الوحي دون أن يقصد بها الوحي المعروف للأنبياء، مثل: الإلهام الذي يلقي في روع الإنسان: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَن أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: 7)، ومنها الإشارة الخفية: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بِكُرَّةٍ وَعَشِيًّا﴾ (مريم: 11)، ومنها الإلهام الغريزي: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَن اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ...﴾ (النحل: 68)، ومنها: وسوسة الشيطان: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (الأنعام: 112).

(2) هذا التعريف هو الذي توصلنا إليه بعد الاطلاع على التعاريف الأخرى ونقدها، إذ إن أغلبها لا يسلم من النقد، بسبب كونها غير جامعة أو غير مانعة. انظر: دروس أصول الدين لطلاب السنة الثانية شريعة: مصطفى شريفي.

(3) انظر: وينتن: آراء، ص 217. أحال على قواعد الجيطالي، 23/1.

إنَّ العقل البشري قاصر عن إدراك الأمور الغَيْبِيَّةِ وغير المَادِّيَّةِ، وإذا تجاوز تفكير الإنسان عالم المَادَّةِ تخبَّط، وتاه، وبقي حائراً يتساءل: من أين جاء؟ وما مصيره؟ ما المقياس الذي يُعرف به الحسن والقبح؟ والعدل والظلم؟ وكيف يعبد خالقه؟... لذا اقتضت رحمة الله وحكمته أن يوحى للبشر بالإجابة عن مثل تلك الأسئلة، والتي لا يستطيع العقل وحده الوصول إليها، فالوحي بالنسبة للعقل كالنور للعين.

ج- إمكانيته ودليله⁽¹⁾:

- 1- الإمكانية: إذا كان المؤمن متيقناً بأنَّ الله هو الخالق، فإنَّ عقله لا يحيل وجود اتِّصال بين هذا الخالق ومخلوقه عن طريق الوحي.
- 2- الدليل: أمَّا الدليل على صدق نزول القرآن الكريم من عند الله، فهو أنَّه تحدَّى كُلَّ البشر وكلَّ الجنَّ أن يأتوا بمثله، وأنَّه احتوى على أوجه مختلفة من الإعجاز، كالإعجاز البياني، والعلمي، والغبيي، والتشريعي... بالإضافة إلى الشواهد التاريخية التي لا بست نزوله، فهي كُلُّها تدلُّ على ثبوته وصدقه.

د- طرائقه:

ذُكرت بعض طرائق الوحي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ...﴾ (الشورى: 51). وفي قوله ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاسَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ»⁽²⁾.

الدليل	التفسير ⁽³⁾
﴿إِلَّا وَحْيًا﴾	1- النفث في الروح، أي الإلهام ⁽⁴⁾ . 2- الرؤيا في المنام، كإبراهيم عليه السلام.
﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾	3- تكليم الله للرسول بلا واسطة كموسى عليه السلام.
﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾	4- الملك في صورته الحقيقية.
﴿يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا﴾	5- الملك في صورة رجل، كسؤال جبريل عن الإيمان ⁽⁵⁾ .

(1) ما فتى أعداء الإسلام يشنون الشكوك في الوحي، لأنَّ التشكيك فيه يعني التشكيك في كُلِّ ما يتلقونه من الرسول ﷺ من عقائد وأحكام، لذا وجب ردُّ شبههم. منها أنَّ الوحي لم يحدث سوى بالتدرج في التفكير العميق والتأمل الدقيق، حتَّى انكشف له ما لم ينكشف لغيره، ويجاب عنه بأنَّ الحالة التي أصيب بها الرسول ﷺ من الذعر والخوف والاصفرار في اللون والارتعاش... في بدء الوحي ينفي هذه الفكرة، إذ كيف يصاب بذلك إذا كان ينتظر مثل تلك الحالة، والتاريخ والقرآن يثبتان أنَّه ما كان يرجو الوحي ولم ينتظره، وإنَّما جاءه فجأة. كما يثبتان انقطاع الوحي عنه ﷺ لمدَّة طويلة، حتَّى ضاق الرسول ﷺ بذلك، ولو كان من عنده لما حدث ذلك.

(2) وبقيَّة الحديث: «قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جِئْتَهُ لَيَقْصِدُ عَرَقًا». الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح: [2] بَابُ فِي ابتداءِ الْوَحْيِ، رقم 02، ص 05. البخاري: كِتَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ، باب كيف كان بدء الوحي، رقم 02.

(3) انظر: تفسير القرطبي، ج 16، ص 53، تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا...﴾

(4) كما في حديث: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفْثٌ فِي رُوحِي: لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا، فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ». قال العجلوني: «رواه في مسند الفردوس عن جابر... ورواه أبو نعيم والطبراني عن أبي أمامة، والبزار عن حذيفة، وأخرجه أيضا ابن أبي الدنيا وصحَّحه الحاكم عن ابن مسعود كذا في فتح الباري». العجلوني: كشف الخفاء، 268/1. (المكتبة الألفية، قرص مدمج)

(5) الربيع بن حبيب، رقم 769، ص 201.

«مِثْلَ صَلَصلةِ الْجَرَسِ»	6-صلصلة الجرس
«وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوْحَاءِ...» (الأعراف: 145)	7-الكتابة على شيء، كألواح موسى عليه السلام.

رابعاً: عدد الكتب والصحف:

لم يرد في القرآن الكريم عدد الكتب والصحف، وإنما ورد فيه ذكر صحف إبراهيم وموسى، وأسماء بعض الكتب مضافة إلى رسل أنزلت عليهم. وجاء في الخبر عن أبي ذر أن عدد الصحف والكتب هو أربعة ومائة كتاب: خمسون على شيث، وثلاثون على إدريس، وعشر على إبراهيم، وعشر على موسى قبل التوراة، والتوراة لموسى، والإنجيل لعيسى، والزبور لداود، والقرآن لسيدنا محمد عليهم السلام.

قال تعالى عن بعض الصحف: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: 36 - 37) (1).

وقال عن التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: 44).

وقال عن الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَعَآئِينَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: 46).

وقال عن الزبور: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (الإسراء: 55).

خامساً: خصائص الكتب والصحف:

1- كل الصحف والكتب تتفق في العقيدة ومكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 25). ولكنها تختلف في بعض الشرائع والأحكام، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 48) (2).

2- كل الكتب عهد الله بحفظها إلى الناس فخانوا الأمانة، وبدلوا وغيروا، وأخفوا منها ما أرادوا، خدمة لأغراضهم وأهوائهم، فأحلوا ما حرم الله (3)، قال تعالى عن اليهود: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (النساء: 46)، وأضافوا إلى التوراة قصصاً عن الأنبياء في غاية من السوء والفحش، ونسبوا إلى الله ما هو شرك صريح: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: 30)، وكتموا من التوراة والإنجيل ما شاءوا، ومن ذلك التبشير بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ

(1) وقال أيضاً: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى: 18 - 19).

(2) قال تعالى قبلها: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 47 - 48).

(3) فقد استحلوا خيانة الأمانة: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 75)، كما استحلوا الربا وقد نهاهم الله عنه: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: 161).

التَّوْرَةَ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿الصف: 6﴾ . وَأَمَّا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فَقَدْ تَكْفَّلَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9) .

3- لم تكن تلك الكتب معجزة بلفظها، ما عدا القرآن، ليبقى المعجزة الخالدة للرسول محمد ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: 53) .

4- تختلف الكتب في لغاتها حسب الأقوام الذين نزلت فيهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم: 4) .

سادسا: القرآن الكريم:

أ- تعريف القرآن:

هو كلام الله المنزل عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، المعجز، المتعبد بتلاوته، المدون في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر. يرشد الأمم إِلَى صلاحها وفلاحها فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ب- خلق القرآن:

كُلُّ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ مَخْلُوقَةٌ، وَلَا يَصِحُّ الْقَوْلُ بِأَنَّهَا قَدِيمَةٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ. وَمِمَّا احْتَجَّ بِهِ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ قَدِيمٌ قَوْلُهُمْ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة: 6) ، والكلام صفة من صفات الله، فهو إذن أَزَلِيٌّ قَدِيمٌ. وجوابهم من عِدَّةِ أَوْجِه:

1- يجب التفريق بين صفة الكلام لله، وبين الكلام المنزل عَلَى رسله؛ إذ لم يَقم دَلِيلٌ عَلَى تسمية صفة الكلام لله قرآنا، وَإِنَّ نَسْبَهُ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ لَيْسَتْ سِوَى كُنْهَةِ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَيْهِ، كَمَا نَقُولُ: بَيْتُ اللَّهِ، أَوْ نَاقَةُ اللَّهِ...

2- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا عِندَهُ مَخْلُوقٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: 102) .

3- أَنَّهُ تَعَالَى مُنْفَرِدٌ بِالْقَدَمِ، فَلَوْ كَانَ الْقُرْآنُ قَدِيمًا لِلزَّمَنِ بَطْلَانُ انْفِرَادِهِ تَعَالَى بِالْقَدَمِ.

4- الْقُرْآنُ مَكُونٌ مِنْ حُرُوفٍ وَكَلِمَاتٍ، وَمَدُونٌ فِي الصُّحُفِ وَالْأَوْرَاقِ وَالْأَلْوَاخِ، وَمَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، وَمَا كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَلَا شَكَّ.

مراجع الدرس:

- | | |
|-----------------------------------|--|
| - مشاركة الأنوار: السالمي | - بهجة الأنوار: السالمي |
| - آراء الشيخ اطفيش: وينتن. | - العقيدة (1): أحمد الكندي، وعاشور كسكاس |
| - منهج علم التوحيد: محمد قطب، ج2. | - كبرى اليقنيات: البوطي. |
| | - الحق الدامغ: أحمد الخليلي. |

الإيمان بالأنبياء والرسل والمعجزات

أولاً: الأنبياء والرسل

تمهيد:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْإِنْسَانَ عَبَثًا، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: 115)، وَإِنَّمَا خَلَقَهُ لعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)، ولكي لا يبقى الإنسان حائرًا في كَيْفِيَّةِ عِبَادَةِ اللَّهِ⁽¹⁾ فقد بعث الله إليه رسلا من البشر يُبَيِّنُونَ أوامره ونواهيه، ومآل المطيع والعاصي في الحياة الأخرى.

أ - التعريف اللغوي:

الرسول: هو المبعوث في مَهْمَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: 35).
النبي: مشتق من النبأ، وهو الخبر، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مُخْبِرٌ وَمُخْبَرٌ، منبئ عن الله، ومنبأ منه.
النبي: من النبوة وهي الرفعة والشرف.

ب - التعريف الاصطلاحي:

الأنبياء والرسل: هم بشر أوحى الله إليهم، يدعون الناس إلى الصراط السوي، مؤيدين بمعجزات تثبت صدق دعواتهم.

والفرق بين الرسول والنبي أَنَّهُ إِنْ أُمِرَ بِتَبْلِيغِ مَا أَوْحِيَ إِلَيْهِ (إِلَى عَامَّةِ النَّاسِ أَوْ فِتَّةٍ مِنْهُمْ) سُمِّيَ رَسُولًا، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِتَبْلِيغِهِ سُمِّيَ نَبِيًّا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾ (الحج: 52)، فذكرهما في نصٍّ واحد إشارةً إِلَى تَغَايُرِهِمَا⁽²⁾، وعليه فكلُّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً⁽³⁾.

ج - وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل عموماً :

الإيمان بالأنبياء والرسل جميعهم أمر واجب، وأولهم آدم، وآخرهم نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ، وإنكار أي واحد منهم - منصوص عليه - يعتبر كفراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ

(1) لو ترك أمر العبادة للعقل البشري وحده لضلَّ، ولعمل أموراً يظنُّها تقرباً إِلَى اللَّهِ بينما هي كفر صراح، أو معصية، مثال ذلك: عبادة الأصنام التي اعتقد فيها عبادها أَنَّهَا تقربهم إِلَى اللَّهِ، بدعوى أَنَّهَا طاهرة من كُلِّ معصية، أو أَنَّهَا ترمز إِلَى عباد صالحين يستشفعون بهم إِلَى اللَّهِ. وكالطواف عراً بدعوى التقرب إِلَى اللَّهِ عَلَى الهيئة التي خُلِقُوا بها دون الثياب التي عصوا اللَّه فيها، إِلَى غير ذلك ممَّا تزينه النفس والشيطان من مبررات للمعاصي...

(2) يضاف إِلَى ذلك حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، «قال: قلت: يارسول الله، كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربع وعشرون ألف، قال: قلت: يارسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر...». ينظر تخريج الحديث ومختلف رواياته وطرقه، ما بين صحيحة وضعيفة: كتاب قواعد الإسلام للجيتالي، 80/1، هامش 1.

(3) مثاله: سيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ نبيٌّ في سورة العلق، ولم يؤمر بالتبليغ. ثم أرسل حين أنزلت عليه سورة المدثر.

د - وجوب الإيمان بنبيِّنا محمدَ صلى الله عليه وسلم خصوصاً:

يجب على المكلف ما يأتي:

- أن يخصَّ نبينا محمدًا ﷺ بالإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحديد: 7).
- أن يعتقد أنه خاتم الأنبياء والرسل، ولا نبيَّ بعده، وشريعته ناسخة للشرائع الأخرى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: 40).
- أن يعتقد أنه أرسل إلى كافة الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: 28)، فالإسلام دعوة عالمية.

هـ - وظائف الأنبياء والرسل:

- 1- البلاغ المبين⁽²⁾، وتعليم الناس أمور دينهم، وتزكيتهم، وإخراجهم من الضلال إلى الهدى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: 2).
- 2- التبشير والإنذار: تبشير المطيعين بالحياة الطيبة، وإنذار العصاة بالشقاء والعذاب، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ (مريم: 97)⁽³⁾.
- 3- إقامة الحجَّة على الناس: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: 165).

و - صفات الأنبياء والرسل:

1- الصفات الواجبة:

- 1- العقل، لقد أنكر الله تعالى مرارا على الذين يصفون الرسول بالجنون، ومن ذلك قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ (التكوير: 22)، ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: 70) ...
- 2- الصدق، والدليل عليه: هو معجزاتهم، فالمعجزة تصديق من الله للرسول.
- 3- العصمة، بما أن الأنبياء والرسل هم القدوة فلا بد أن يكونوا معصومين عن المعاصي.
- 4- الأمانة، هي أن يكونوا حافظين لدينهم، فلا تصدر منهم المعاصي الظاهرة (كالكذب، والغيبة) والباطنة (كالحسد والكبر والرياء).
- 5- الضبط: فيجب أن يكون الرسل حافظين لما أُلقي إليهم من الوحي من غير نسيان أو تهاون.

- (1) وقال: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ — آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: 285)، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: 150 - 152).
- (2) قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: 54).
- (3) وقال أيضاً: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: 213).

- 6- التبليغ: وهو إيصال الرسل ما أمروا بإيصاله، ولو أَدَّى ذَلِكَ إِلَى هَلَاكِهِمْ⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: 67).
- 7- الفطنة: وهي التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم، وإبطال دعاويهم. والدليل على فطانتهم ما حكى القرآن عن جدال الرسل لأقوامهم، كقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ (الأنعام: 83)⁽²⁾.
- 8- الذكورة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا يُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: 43)⁽³⁾.
- 9- السلامة من منفر أو عيب بدني قبل التبليغ⁽⁴⁾.

2- الصفات المستحيلة:

الصفات المستحيلة في حق الرسل هي أضداد صفاتهم الواجبة، كالكذب والجنون، والعتة، وارتكاب المعاصي. والدليل على ذلك أنه لو وجدت إحدى الصفات المستحيلة للزم نفور الناس عنهم، ولأنحطوا عن رتبة الاصطفاء التي حباها الله بها، ولكننا مأمورين باتباعهم في تلك الصفات، وهو باطل قطعاً. وبقيّة الأدلة هي نفس أدلة الصفات الواجبة.

3- الصفات الجائزة:

ما عدا الواجب والمستحيل في حق الرسل فإنه جائز، وذلك كالأكل والشرب والنوم والنكاح ومخالطة الناس والمشي في الأسواق، ونحو ذلك من الخصال الجليّة.

ويستثنى من ذلك ما يستقبح فعله، كالبول قياماً، فقد روى فيه غير الإباضية حديثاً لا يصح، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)، وإن البائل قائماً ليس على خلق حسن، بله أن يكون على خلق عظيم.

ز- تفاضل الأنبياء والرسل:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: 253)، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا﴾ (الإسراء: 55). وأفضلهم سيدنا محمد ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: 4)، ولقوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»⁽⁵⁾.

- (1) خلافاً لمن قال من الشيعة بجواز التقيّة في حقهم، وقد ردّ علماء الإباضية وأهل السنة عليهم في ذلك.
- (2) وكقوله تعالى على لسان قوم نوح: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ (هود: 32)، وكأمر الله تعالى الرسول محمداً ﷺ بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125)، ومن لم يكن فطنا لا يمكنه إقامة الحجّة.
- (3) وهو رأي الجمهور، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا يُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ (يوسف: 109)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا يُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (الأنبياء: 7). وذهب آخرون إلى أنها يمكن أن تكون في النساء، كمریم: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ... إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: 42، 45)، ﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ (مریم: 17). وجمع بين الدليلين آخرون فقالوا: فيهن النبوة لا الرسالة. انظر: ويتن: آراء، ص 230-231.
- (4) وأما بعد النبوة والتبليغ فلا مانع من ذلك، كسيدنا أيوب ويعقوب عليهما السلام.
- (5) من المعلوم أن الشفاعة للمؤمنين لرفع درجاتهم وليست لأهل الكبائر.

ثانياً: المعجزات

لقد أيد الله الرسل بالمعجزات التي تثبت صدقهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (الحديد: 25) . وقد سمّاها القرآن: بيّنات، وآيات، وبرهاناً...

أ - تعريف المعجزة:

هي أمر خارق للعادة أوجده الله عزَّ وجلَّ على يد مدَّعي النبوة، موافقة لدعواه، على سبيل التحدي، مع عدم المعارضة.

ب - طبيعة المعجزة :

غالباً⁽¹⁾ ما تكون معجزة كلِّ رسول من جنس ما برع فيه قومه، فعيسى عليه السلام جاء في عصر اهتمام الناس بالطبِّ، وموسى عليه السلام جاء في عصر انتشار السحر، وسيّدنا محمدٌ ﷺ جاء حين اهتمَّت العرب بالتباري في الفصاحة والبيان.

وقد كانت المعجزات السابقة مادّية، وأمّا آخرها (وهي القرآن) فكانت معنوية، حين وصلت البشرية إلى مستوى عال من النضج الفكري، ليبقى التحدي سارياً إلى أن تقوم الساعة، مهما بلغت الإنسانية من الرقي العلمي والتكنولوجي.

ج - المعجزة في ميزان العلم :

إن الذي خلق الكون - وهو الله جلّ جلاله - ووضع له أنظمة وقوانين ثابتة لا تتغيّر، قادرٌ على أن يخرق تلك القوانين.

وفي الحقيقة إن كلَّ ما يحدث في الآفاق وفي الأنفس في كلِّ لحظة هو معجزات وآيات، فحركة المجرّات والنجوم والكواكب... وما حوته الأرض من عجائب في البرِّ والبحر، وفي الحيوان والنبات، وما يحدث بداخل الجسم البشري من أنظمة دقيقة جدّاً... هي كلّها آيات، إلّا أننا بالآلاف والعادة توهمنا أنها أمور طبيعية، وأنَّ خرقها أمرٌ معجز!

د - معجزة الرسول محمد ﷺ :

سأل العرب الرسول ﷺ أن يأتيهم بمعجزة حسّية، فأجابهم الله بأن القرآن أعظم معجزة: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ

والحديث رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبيِّنا على جميع الخلائق، رقم 2278، ج4/ص1782. ورواه الترمذي بلفظ: «أَنَا سَيِّدُ أَدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَيَلِدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِن نَّبِيٍّ يَوْمُنَا أَدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ». «قَالَ أَبُو عِيسَى: وَفِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، رقم 3615، ج5/ص587.

(1) قلنا غالباً؛ لأنَّ المعجزة قد تأتي ابتداءً، أي في غير ما برع فيه القوم، مثل: كون النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، والإسراء والمعراج لسيّدنا محمد ﷺ.

عليهم (العنكبوت: 50-51) .

ويتمثل إعجاز القرآن فيما يأتي:

1- التحدي القاطع لكل الجن والإنس أن يأتوا بمثله: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88) . ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: 13-14) . ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الْتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 23-24) .

2- النظم البديع، فما هو بنثر ولا بشعر. والعرب في هذا حجة على من سواهم من الأعاجم.

3- الإخبار بالمغيبات الماضية والمستقبلية.

4- التشريع الصالح لكل زمان ومكان، مع أن الرسول ﷺ أمي، لم يدرس قانونا ولا فلسفة.

5- احتواؤه على حقائق علمية، لا يزال الباحثون يكتشفونها يوما بعد يوم.

6- يستوي في الاستفادة منه جميع الفئات، من عوام ومتقنين ومتخصصين...

7- لا يخلق على كثرة الرد.

د- أهمية الإيمان بالأنبياء والرسل والمعجزات :

1- الاقتداء بهم في أخلاقهم وسلوكهم، كخشية الله، والصبر في الدعوة، وحسن معاملاتهم... قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21) .

2- الاهتمام بسيرتهم - وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ - ونشرها في أوساط الناشئة والشباب، بديلا عما تنشره وسائل الإعلام من أخبار من لا خلاق له.

3- تخصيص الإيمان بسيدنا محمد ﷺ يدفع المؤمن إلى حبه وطاعته، وتحكيم شرعه، والرضا بكل ما جاء به، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 31-32) .

4- معرفة سيرة الرسول ﷺ تحثنا على الدفاع عنه، وعن سائر الأنبياء والرسل ضد كل من يريد النيل منهم.

5- اكتشاف مواطن الإعجاز في القرآن الكريم يزيدنا إيمانا ويقينا بصدقه، وبصدق ما أخبر به من أمور الآخرة، ويدفعنا إلى إظهاره والدعوة إليه.

مراجع الدرس:

الجيطالي: قواعد الإسلام، 48-45/1، 85-77.

- السالمي: مشارق أنوار العقول، ص 215-231.
- السالمي: بهجة الأنوار، ص 96-101.
- علي يحيى معمر: سمر أسرة مسلمة، ص 55-62.
- عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات.
- وينتن: آراء الشيخ أطفيش العقديّة، 207-269.
- أحمد الكندي، وعاشور كسكاس: العقيدة (1)، ص 129.
- البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، ص 183-238.
- محمّد قطب: منهج علم التوحيد، ج 3، ص 6-171.
- الغزالي: عقيدة المسلم، ص 173-201.

النشاط الدراسي:

أكمل الحديث النبوي الآتي. قال رسول الله ﷺ : «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه...».

الإيمان بالقضاء والقدر

أولاً - تمهيد:

لقد استفد المسلمون جهداً كبيراً، ودهراً طويلاً، وهم يجادلون في موضوع القضاء والقدر، فأعطوه الصبغة الفلسفية أحياناً، وأفحموا العقل أحياناً في ما لا طائل من ورائه، حتّى شغلت الكثير عن القضايا والأهداف الأساسيّة للإسلام.

ثانياً - المعاني اللغوية للقضاء والقدر:

للقضاء معانٍ لغوية متعدّدة، منها:

- 1- الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: 12) .
- 2- الحكم: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس: 93) .
- 3- الأمر: كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: 23) .
- 4- الإخبار والإعلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ...﴾ (الإسراء: 4) .

وللقدر كذلك معانٍ متعدّدة منها:

- 1- الخلق: كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ (الأعلى: 3) .
- 2- الحساب والميزان الدقيق: كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ (المؤمنون: 18) ، أي بمقدار محدد.
- 3- التضييق: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (الطلاق: 7) .
- 4- الوجود: كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرًا تَقْدَرُهَا مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل: 57) .

ثالثاً - المعنى الاصطلاحي للقضاء والقدر:

القضاء شرعاً: هو حكم الله تعالى على الأشياء في الأزل، وكتابتها في اللوح المحفوظ.

والقدر: هو إخراجها إلى الوجود في أوقاتها المحدّدة لها حسب علم الله، ووفق ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ.

ومن العلماء من يعكس تعريفهما، ومنهم من يجعلهما بمعنى واحد.

رابعاً - وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول الدين، وركن من أركان الإيمان، والدليل على وجوب الإيمان بهما من العقل

والنقل:

أ- من النقل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: 49) . وقال ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: 51) .

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ وَلَنْ تُؤْمِنَ وَتَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنْ اللَّهِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ خَيْرَ الْقَدَرِ وَشَرِّهِ؟ قَالَ: «تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ

لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، فَإِنْ مِتُّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ»⁽¹⁾. وفي جواب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لجبريل عليه السلام لسؤاله عن الإيمان قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»⁽²⁾.

ب- من العقل: يتفرع الإيمان بالقضاء والقدر عن الإيمان بعلم الله الشامل، وقدرته الكاملة، وإرادته المطلقة؛ فلا يحصل في الوجود شيء إلا والله تعالى يعلمه ويريده، ويستحيل حصول شيء لم يرده الله.

خامسا - اختلاف المسلمين في مسألة القضاء والقدر:

للأمة الإسلامية إزاء هذه القضية ثلاثة مذاهب:

1- المعتزلة:

وسُموا أيضا بالقدرية، رئيسهم: واصل بن عطاء، قالوا: إن للعبد الحرية التامة في اختياره، وهو الفاعل للخير والشر، وقدرته صالحة لخلق فعله وإيجاده.

من أدلتهم العقلية:

أ. إن الله تعالى عدل لا يظلم ولا يجور، فلا يصح أن يخلق الخير والشر للعبد ويجبره عليهما، ثم يحاسبه على فعلهما. والتكليف والمحاسبة يقتضيان أن يكون العبد مخيرا لا مسيرا ولا مجبورا.

ب. إن أفعال العبد لا تخلو من أحد الاحتمالات الثلاثة: إما أن تنسب إلى الله تعالى وحده، وإما أن تنسب إليه وإلى العبد معا، وإما أن تنسب إلى العبد فقط. فالأول باطل لأنه يستلزم أن يكون الإنسان مجبورا على فعله، وبالتالي ينسب الظلم إلى الله. والثاني باطل أيضا لاستلزامه مشاركة الله في أفعاله، وهو منزه عن الشريك. فثبت الاحتمال الثالث.

وأجيبوا عن الاستلزامين الأول والثاني بأن لفعل العبد جهتين: جهة إيجاده، وهي لله، وجهة اكتساب وهي للعبد، ولا يستلزم مشاركة الله في أفعاله.

من أدلتهم النقلية:

أ. استدلوا لجواز نسبة الخلق إلى الإنسان، بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ (المائدة: 110)، وأجيبوا بأن الخلق في الآية مجاز لا حقيقة، فالخلق والإيجاد الحقيقي (من العدم إلى الوجود) خاص بالله، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ

(1) رواه الربيع بن حبيب، باب [12] في القدر والحذر والتطير، حديث رقم 72.

(2) نص الحديث كالاتي: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَلْزَقَ رُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: فَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحُجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ. قَالَ: فَمَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَتَعَجَّبْنَا مِنْهُ يُسْأَلُ وَيُصَدِّقُ. قَالَ: فَمَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَمَا أَمَارَتُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَجُلًا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ أَصْحَابَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَنِيَانِ. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِينِي النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلَاثٍ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ هَلْ تَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ، كِتَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ، رَقْمُ 2610.

خَالِقُ غَيْرِ اللَّهِ؟ (فاطر: 3) .

ب. استدلو بالآيات التي تنسب الحرية والإرادة للإنسان، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: 29) ، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران: 182، والأنفال: 51)، وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: 3)⁽¹⁾، أي أريناه طريق الصلاح وطريق الفساد، وتركناه حُرًّا يختار أيُّهما شاء.

2- الجهمية:

ويسمَّون بالجبرية، رئيسها: جهم بن صفوان، قالوا: القدر خيرُه وشرُّه من الله على جهة الجبر والإكراه، والعبد مجبور ومسير كالجمادات.

من أدلتهم:

استدلوا من القرآن بمثل قوله تَعَالَى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النحل: 93) ، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (القصص: 68)، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان: 30)⁽²⁾.

ويردُّ عليهم من العقل بأنَّ الإِجبار ينافي التكليف والحساب، ويؤدي إلى نسبة الظلم إلى الله. وأيضًا بما يجده الإنسان في نفسه من الاختيار بين الفعل والترك. والضلال والهداية إنما يكونان بالاختيار، ثمَّ الله يخذل من اختار الضلالة، ويوفق من اختار الهداية⁽³⁾.

ويردُّ عليهم من النقل: بكلِّ الآيات التي استدَلُّ بها المعتزلة على أنَّ الإنسان مخير في أفعاله.

3- الجمهور:

ذهب جمهور الأمة الإسلامية من الإباضية والأشاعرة والماتريدية إلى أنَّ القدر خيرُه وشرُّه من الله، وهو الخالق لهما، وهو المقدر لكلِّ ما يحدث في الوجود، ووقفوا موقفًا وسطًا يجمع بين أدلة الفريقين (المعتزلة والجهمية) فقالوا: إنَّ لفعل العبد جهتين:

(1) وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة على هذا النحو، منها قوله تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (الحج: 10) ، وقوله: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص: 47)، وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: 10) .

(2) ومنها قوله تَعَالَى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ (البقرة: 7)، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة: 253)، وقوله: ﴿وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: 155)، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ (الأنعام: 107)، ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ (الأعراف: 186)، وقوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (الكهف: 17)، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم: 43-44)، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: 29) .

(3) قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَبَا﴾ (الرعد: 27)

أ- جهة الخلق والإيجاد، وهي التي يخرج بها فعل العبد من العدم إلى الوجود، وتنسب إلى الله، فهو الخالق لفعل العبد حال اختياره له، ويخلق له القدرة على فعله.

ب- وجهة اكتساب، وهي نسبة ذلك الفعل إلى العبد، عند اختياره لفعله؛ فالله تعالى موجد العبد مكتسب؛ وإذا ثبت للعبد اختيار واكتساب صح أن يتلقى بسببهما الثواب أو العقاب.

من أدلتهم:

- 1- قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: 286).
- 2- وقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (غافر: 17).
- 3- وقوله: ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يُتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينًا﴾ (المدثر: 37-38)⁽¹⁾.

سادسا - ما يجب في الإيمان بالقضاء والقدر:

- 1- أن كل ما يحدث في الكون فبقضاء الله وقدره، وأن الله عالم به قبل حدوثه، كالخصب والجذب، وهبوب الرياح والأعاصير، وحوادث الزلازل والمصائب... قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ نُنزِّلَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: 22)، وقال: ﴿...وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: 59).
- 2- إن الله تعالى لا يحاسب العبد على القدر الحتمي الذي لا يستطيع العبد التصرف فيه، مثل: شكل خلقته، ومن أي الأبوين هو، ومتى يولد وأين، وحر كاته اللاإرادية كالارتعاش والموت... وإنما يحاسبه على أفعاله الاختيارية، كالطعام والشراب والتعلم، والطاعة والمعصية...

سابعا - بعض الإشكالات وجوابها:

- 1- قد يُسأل: إذا كان الله يريد وقوع المعصية فلماذا يعاقب عليها؟ الجواب: يجب التفريق بين أمر الله وإرادته، فالله تعالى لم يأمر بالمعصية ولا يرضى وقوعها، ولكن إذا وقعت فلا نقول: إنه لم يرد وقوعها، لأنه تعالى لا يقع في ملكه إلا ما يريد.
- 2- إذا كانت أفعالنا لا تخرج عن دائرة علم علم الله تعالى الشامل وإرادته المطلقة، فهل يعني هذا أنه أجبرنا عليها؟ الجواب: كلا، لأن علمه تعالى لا يتصل بأعمالنا اتصال إكراه وإجبار، ولكنه اتصال انكشاف ووضوح.

ثامنا - خلاصة القول:

- إننا مهما حاولنا التوغل في فهم القدر فلن نزداد القضية إلا غموضا، لذا يجب التسليم بأمور أساسية:
- 1- أن القدر سر من أسرار الله، قال تعالى في حديث قدسي: «القدر سري، ولا ينبغي لأحد أن يطلع على سري»⁽²⁾، وقال ﷺ:

(1) ومنها أيضا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام: 120). وقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ (الزمر: 48).

(2) قال الأستاذ عمر إسماعيل آل حكيم في دراسته حول معالم الدين (مرقون): «هكذا جاء به الثميني ولم أجده بهذا اللفظ، وجدته: «القدر سر الله، من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فأنا بريء منه». انظر: (كنز العمال)، الكتاب الأول: في الإيمان والإسلام، الفصل السادس: في الإيمان والقدر، ج: 485/1.

«إذا ذكر القدر فأمسكوا»⁽¹⁾، فلا يجوز إغراق المناقشة فيه، قال الشيخ السالمي:

وبالقضاء نؤمن أيضاً والقدر ولم يجز إغراقنا فيه النظر

2- أن نتيقن أن الله تعالى العلم الكامل، والقدرة والإرادة المطلقتين في التصرف في مخلوقاته، وأنه عدل لا يجور.

3- أن نفوض الأمر كله إلى الله، وأن نضع في حسابنا القاعدة الرئيسة في الموضوع، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: 23).

4- أن نهتم بالعمل وعدم التواكل، وقد سأل سُرَاقَةُ بْنُ جَشَعَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا الْعَمَلُ فِي أَمْرٍ مُبْتَدَأٍ مُسْتَأْنَفٍ، أَمْ فِي شَيْءٍ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ؟ فَقَالَ ﷺ: «بَلْ فِي شَيْءٍ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ»، ثُمَّ قَالَ سُرَاقَةُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ إِذْنِ يَارَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «إِعْمَلُوا فَكُلُّ مُسَرَّرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ»⁽²⁾.

تاسعا - الآثار التربوية للإيمان بالقدر:

1- قوة العزم والتخلص من التردد، فإذا عزم المؤمن بالقدر على فعل شيء هياً له أسبابه، واستخار واستشار، ومضى متكللاً على الله، وهو متيقن أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، وبذلك يتخلص من التردد الذي يفسد على كثير من الناس أمورهم.

2- الصبر والتجلد، وعدم الخوف من الموت، فإن التسليم بأن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها يكسب المؤمن صبراً وشجاعة وإقداماً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (آل عمران: 145)⁽³⁾.

3- الاطمئنان النفسي وعدم السخط والجزع والكفر... بسبب مصيبة، أو الفرح والغرور بسبب نعمة، قال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»⁽⁴⁾.

4- التفاؤل وعدم تعليل الأمور حسب الهوى، فإن الإيمان بالقدر يمنع من الوقوع في التشاؤم والتطير.

5- التمييز بين التوكل والتواكل، فينهض المؤمن للعمل واتخاذ الأسباب، وينبذ الكسل والاعتذار بالأقدار.

المراجع :

- محمد البوطي: الإنسان مسير أم مخير، كله.

- يوسف القرضاوي: الإيمان بالقدر، كله.

- عمر سليمان الأشقر: القضاء والقدر، كله.

(1) رواه الطبراني بسند صحيح، من حديث ابن مسعود، انظر: فتح الباري، مج 11/ص 477، كتاب القدر. (عن أصول الدين للشيخ أوبكة، ص 8، وينتن: آراء، ص 353، وقال: صححه الألباني في صحيح الجامع، 209/1).

(2) رواه الربيع بن حبيب، ج 3/ ما جاء في الحجّة على القدرية، حديث رقم: 796، ص 207. ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي، رقم 2648.

(3) وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ، وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران: 156)،

(4) مسلم: كتاب الزهد والرفاق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم 2999. ج 4/ص 2295.

ويقول الله تعالى في هذا الشأن: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ (الحديد: 22 - 23).

- إسماعيل الجيطالي: قواعد الإسلام، 98-90/1.
- عبد العزيز الثميني: النور، ص 144-164.
- أحمد الكندي، وعاشور كسكاس: العقيدة (1)، 186-177.
- نور الدين السالمي: بهجة الأنوار، ص 147-133.
- نور الدين السالمي: مشارق أنوار العقول، 328-310.
- محمد الشعرأوي: القضاء والقدر (ومواضيع أخرى)، ص 71-40.
- محمد الغزالي: عقيدة المسلم، ص 119-95.
- فرحات الجعبيري: البعد الحضاري، 485-399/2.
- مصطفى وينتن: آراء الشيخ أطفيش العقديّة، ص 381-347.

الملل الست وأحكامها

الملل جمع ملة، وهي الشريعة، فأهل الملل الست هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج: 17). ويجب على المسلم التمييز بين هذه الملل، ليعرف ما تتميز به ملة الإسلام، ويدرك أحكام التعامل مع أتباعها.

أولاً - الملة الأولى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:

أ- تعريفهم: هم المسلمون أتباع الدين الإسلامي الذي بعث به سيدنا محمد ﷺ.

ب - أحكامهم: أحكام جميع الموحدين (موفين أو غير موفين) أنهم يتوارثون ويتناكحون فيما بينهم، وتحل ذبائحهم، وتحرم دماؤهم وأعراضهم وأموالهم، ويصلى خلفه، وتجب في حقهم جميع أحكام الجنائز، من التغسيل والتكفين والصلاة عليه والدفن في مقابر المسلمين. وتقبل شهادة الموفين منهم.

أما إن ابتدع بعضهم في الدين ما خالف به المسلمين، فإنه يجب على إمام المسلمين أو جماعتهم أن يدعوهم إلى ترك ضلالتهم وبدعتهم، والدخول في الجماعة. وإن بغوا وكانت بينهم وبين المسلمين حرب فلا يحل حينئذ غير دمائهم وتجب البراءة منهم، ولا يحل غنم أموالهم ولا سبي نسائهم ولا أولادهم، ولا الإجهاز على جريحهم، ولا اتباع مدبرهم، إن لم يكن لهم مأوى يأوون إليه ويتقون به.

ثانياً - الملل الثانية والثالثة والرابعة ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِينَ وَالنَّصَارَى﴾:

أ- تعريفهم: أصحاب هذه الملل الثلاث هم المسمون بأهل الكتاب.

أما اليهود⁽¹⁾ فهم بنو إسرائيل أهل التوراة المنزل على سيدنا موسى عليه السلام.

وأما النصارى⁽²⁾: فهم قوم من مختلف الأجناس، وهم أهل الإنجيل المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام.

وأما الصابئون: فهم قوم جمعوا ما طاب لهم من التوراة ومن الإنجيل. أو هم قوم يصبؤون من دين إلى دين، أي يخرجون. أو هم قوم يقرأون الزبور.

ب- أحكامهم: أحكام هذه الطوائف الثلاث كلها أنهم مشركون، لأنهم أنكروا رسالة سيدنا محمد ﷺ، وأنكروا ما في كتبهم من وجوب اتباعه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: 81-82)، ثم قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

(1) سبب تسميتهم: إما من قولهم: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: 156)، أو نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، «فقلبت العرب النزال دالا؛ لأن الأعجمية إذا عربت غيّرت عن لفظها». القرطبي: التفسير، 432/1.

(2) سبب تسميتهم أنهم قالوا: ﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 52).

الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ (آل عمران: 85) .

وَأَمَّا مَنْ حَيْثُ مَعَامَلَتُهُمْ، فَإِنَّ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوا كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَتَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الَّذِينَ آمَنُوا. وَإِنْ امْتَنَعُوا دَعَاهُمْ إِلَى دَفْعِ الْجِزْيَةِ وَهُمْ صَاغِرُونَ، فَإِنْ أَجَابُوا كَانُوا فِي ذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ (أَي فِي حِمَايَتِهِمْ)، وَتَحْرَمُ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَسَبْيُ نِسَائِهِمْ وَأَوْلَادُهُمْ، وَيَحِلُّ أَكْلُ ذِبَائِحِهِمْ وَنِكَاحُ حُرِّهِمْ. وَفِي حَالَةِ الْحَرْبِ يَجُوزُ السَّبْيُ وَالْغَنِيمَةُ، وَلَا يَقَاتِلُ مَنْ لَمْ يَقَاتِلْ، كَالرَّهْبَانِ وَالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ.

ثالثاً: المِلَّةُ الْخَامِسَةُ ﴿وَالْمَجُوسُ﴾:

أ- تعريفهم: هم عبدة النار والشمس والقمر والنجوم، ويقولون بالثنوية: إله الخير وإله الشر. وهم الفرس قبل أن يسلموا وبعض الهنود والصينييين قديماً وحديثاً.

ب- أحكامهم: هي كأحكام أهل الكتاب غير أنه لا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم، ولو أعطوا الجزية ما داموا على دينهم، قال ﷺ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ، غَيْرَ أَكْلِي ذِبَائِحِهِمْ، وَلَا نَاكِحِي نِسَائِهِمْ»⁽¹⁾.

رابعاً: المِلَّةُ السَّادِسَةُ ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾:

أ- تعريفهم: هم عبدة الأوثان والأصنام. أو الجاحدون لوجود إله أصلاً.

ب- أحكامهم: هي أن يدعوهم إمام المسلمين إلى الدخول في الإسلام، فإن أجابوا كانوا مسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وإن أبوا وعارضوا الإمام والمسلمين في نشر الدعوة الإسلامية، وكانوا حرباً على المسلمين، فإنه يحاربهم، ولا تقبل منهم الجزية، ويحل حينئذ سفك دمائهم وسبي نسائهم وذرائعهم وغنم أموالهم، ولا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم في كل الأحوال، قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ...﴾ (البقرة: 221) .

(1) جاء في موطأ الإمام مالك أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ذَكَرَ الْمَجُوسَ فَقَالَ مَا أَذْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي أَمْرِهِمْ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ». كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ جِزْيَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ، رَقْمُ 617. قَالَ الزَّيْلَعِيُّ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ [الْكِتَابِ] نَاكِحِي نِسَائِهِمْ وَلَا أَكْلِي ذِبَائِحِهِمْ، قُلْتُ: غَرِيبٌ بِهَذَا اللَّفْظُ، وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مَصْنُفَيْهِمَا عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ إِلَى مَجُوسٍ هَجَرَ يَعْزُضُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَمَنْ أَسْلَمَ قَبْلَ مَنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ ضَرَبَتْ عَلَيْهِ نَاكِحِي نِسَائِهِمْ وَلَا أَكْلِي ذِبَائِحِهِمْ. انْتَهَى، ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي النِّكَاحِ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي كِتَابِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَفْظُهُ فِيهِ: «وَلَا تُؤْكَلُ لَهُمْ ذَبِيحَةٌ وَلَا تُنْكَحُ فِيهِمْ امْرَأَةٌ»، قَالَ ابْنُ الْقَطَّانِ فِي كِتَابِهِ: هَذَا مَرْسَلٌ وَمَعَ إِسْرَالِهِ فِيهِ قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ وَهُوَ ابْنُ الرَّبِيعِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ وَهُوَ مِمَّنْ سَاءَ حِفْظُهُ بِالْقَضَاءِ، كَشْرِيكَ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى. انْتَهَى. وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ: ...أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى مَجُوسٍ هَجَرَ يَعْزُضُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَإِنْ أَبَوْا عَرْضَ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ وَبِأَنْ لَا تُنْكَحَ نِسَاؤُهُمْ، وَلَا تُؤْكَلُ ذِبَائِحُهُمْ، وَفِيهِ قِصَّةٌ. وَالْوَاقِدِيُّ مُتَكَلِّمٌ فِيهِ...». نَصَبُ الرَّايَةِ، 170/3.

خامسا: أحكام عامّة في كلّ الملل غير المسلمة:

- وجوب دعوتهم إلى الإسلام في كلّ الأحوال.

- تحريم الموارثة والمدافنة والموالات.

- في حالة السلم وإبرام العهود والمواثيق معهم، يجب على المسلمين مراعاتها، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: 8 - 9) .

المراجع:

- الجيपालي: قواعد الإسلام، (تح. الحاج موسى)، 249/1.

- القطب اطفيش: شرح عقيدة التوحيد، (تح. وينتن)، 395-434. الذهب الخالص، 62-72.

- وينتن: آراء، 340-343.

الألفاظ الشرعية

الإيمان - الإسلام - الكفر - النفاق - الشرك

تمهيد :

وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية عدة ألفاظ شرعية يجب على المسلم التمييز بينها، منها قوله تعالى: ﴿لُعِدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: 73) .

أولاً - الإيمان والإسلام:

يختلف معنى اللفظين لغة، ويتفقان شرعا، وورد كلا الإطلاقيين في القرآن الكريم والسنة النبوية، والقارئ يعرف المعنى المقصود.

أ- المعنى اللغوي:

الإيمان هو التصديق، قال تعالى على لسان أبناء يعقوب: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف: 17) ، أي بمصدق.

الإسلام: هو الإذعان والخضوع والانقياد والاستسلام، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: 14) .

ب- المعنى الشرعي:

الإيمان والإسلام شرعا مترادفان، ومعناهما: الوفاء بالواجبات الشرعية، سواء أكانت اعتقادية أم قولية أم عملية، وترك جميع المنهيات أيضا. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات: 35 - 36) .

ج- أصول الإيمان والإسلام

للإيمان والإسلام ثلاثة أصول، ومن ضيع أحدها لا يسمى مؤمنا، وهي:

1. التصديق بالجنان (القلب): وهو الإيمان بكل أركان الاعتقاد: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وكل ما يتعلق بهذه الأمور.
2. القول باللسان: وهو الإقرار بالجمل الثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن ما جاء به حق من عند الله. وهو شرط لإجراء أحكام المسلمين على الناطق بها.
3. العمل بالأركان: وهو الإتيان بالفرائض واجتناب المنهيات. وهو شرط لنيل الثواب والنجاة من العقاب.

وقد اتَّفَقَ الإباضِيَّةُ والمعتزلة والسلفية⁽¹⁾ عَلَى اشتراط العمل في ثبوت الإيمان، واستدلُّوا بما يأتي:

1. إنَّ القرآنَ يذكر إتيان الفرائض واجتناب المنهيات من جملة صفات المؤمنين، كَقَوْلِهِ تَعَالَى بِأَسْلُوبِ الْحَصْرِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (الأنفال: 2-4)، وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ...﴾ الْآيَاتِ (المؤمنون: 1-11). وقال ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونُ شعبةً أفضلُها لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأَوْضَعُها إمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»⁽²⁾.
2. توجد عدَّةُ أحاديث تنفي الإيمانَ عَمَّنْ يرتكب إحدى الكبائر، منها قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»⁽³⁾، وقوله: «لا إيمانَ لمن لا صلاةَ له ولا صلاةَ لمن لا وضوءَ له ولا صومَ إلاَّ بالكفِّ عن محارمِ الله»⁽⁴⁾.
3. يقرن الله تعالى دوما الإيمانَ بالعمل الصالح، في عدَّة آيات، منها قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 277).
4. إنَّ القولَ وحده بدون عمل لا يكفي، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30).

وقد خالف الإباضِيَّةُ بعضُ الفرق الإسلامية التي اعتبرت الإيمانَ مُجَرَّدَ معرفة بالله وإقرار باللسان، وأمَّا العمل - في نظرها - فهو شرط لكمال الإيمان⁽⁵⁾، وليس شطرا منه، بحيث لو ارتكب الموحِّد الكبائر - غير الشرك - لَمَّا سُلِبَتْ منه صفة الإيمان. ومن الأدلة التي استدلو بها حديث أبي ذر: «ما من عبد قال لا إله إلاَّ اللهُ ثُمَّ ماتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق؟ قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر»⁽⁶⁾.

ويجب الإباضِيَّةُ عن الاستدلال بهذا الحديث بما يأتي:

1. إنَّ الأدلة التي تعتبر العمل من أركان الإيمان تنقض الاستدلال بحديث أبي ذر.
2. من المحتمل أنَّ حديث أبي ذر كان في ابتداء الإسلام حين كانت الدعوة إلى مُجَرَّد الإقرار بالتوحيد قبل أن تفرض الفرائض.

-
- (1) وَهُوَ قول الأشعري أيضاً، قال في الإبانة: «وندين أنَّ الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»، الإبانة، ط1981، ص24. (نقلا عن الجعيري، البعد، ص491).
 - (2) رواه النسائي في كِتَاب الإيمان وشرائعه، باب ذكر شعب الإيمان، رقم 5004. وروى جزءا منه مسلم في كِتَاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، حديث 35.
 - (3) رواه الربيع بن حبيب بزيادة: «ومن تاب تاب الله عليه»، ج4/حديث 983. ورواية ابن ماجه بزيادة: «ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن». ابن ماجه: السنن، كِتَاب الفتن، حديث 3936، ج2/ص1298.
 - (4) رواه الربيع بن حبيب في كِتَاب الطهارة، باب [15] في آداب الوضوء وفرضه، حديث رقم 91.
 - (5) قال البيجوري (شرح الجوهرة، ص45): «وهذا شرط كمال عَلَى المختار عند أهل السنة، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن لَكِنَّهُ فوت عَلَى نفسه الكمال». (نقلا عن الجعيري، البعد، ص493-494).
 - (6) رواه البخاري في كِتَاب اللباس، باب الثياب البيض. (نقلا عن أطروحة وينتن، ص278)

3. قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (الأنفال: 38)، وقال ﷺ: «الإسلام يجب ما كان قبله»⁽¹⁾، وعَلَيْهِ فيحمل حديث أبي ذر عَلَى أَنَّ السَّوَال كان عن الزنا والسرقة قبل الدخول في الإسلام⁽²⁾.

ثانيا - الكفر:

أ- المَعْنَى اللُّغَوِي:

الكُفْر (بفتح الكاف) في اللغة هو السَّتر. والليل يُسَمَّى كافرا لَأَنَّهُ يستر الأشياء بظلمته، والحارث (الفلاح) كافرا لَأَنَّهُ يستر البذر في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿...كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَبَائِهِ﴾ (الحديد: 20). ويرد أيضاً بمعنى الجحود، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفُرُوهُ﴾ (آل عمران: 115)، وقال عَلَى لسان فرعون لموسى ﷺ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الشعراء: 19).

ب- المَعْنَى الشَّرْعِي:

هو كُلُّ اعتقاد أو قول أو فعل أوجب الله عَلَيْهِ العقاب.

ج- أقسام الكفر:

ينقسم الكفر إلى قسمين: 1- كفر شرك (وسياتي بيانه في العنصر الموالي). 2- كفر نعمة (أو كفر نفاق).

1- كفر النعمة عند الإباضية:

المرتكب للكبائر العَمَلِيَّة (بغير استحلال) لا يُسَمَّى مشركا، خلافا للخوارج (الأزارقة والصفريّة)، ولا يُسَمَّى مؤمنا، وإنَّمَا يُسَمَّى كافرا كفر نعمة، أو فاسقا، أو منافقا نفاقا عمليا، أو فاجرا، أو عاصيا، أو ضالا، أو ظالما. ووافق الإباضية عَلَى هَذَا الرَّأْيِ المَعْتَزَلَةُ وَالشَّيْعَةُ، وكثير من علماء الأشاعرة، وأهل الحديث الذين يسمونه كفرا دون كفر.

2- أدلة الإباضية:

1. قوله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: 44)، ﴿...فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: 45)، ﴿...فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: 47).
2. قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 97).
3. قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: 3)، أي إِنَّ الْإِيمَانَ والكُفْرَ لا يرتفعان معا، وإذا خرج الإنسان عن الإيمان دخل في الكفر لا محالة، وبالعكس.
4. قوله ﷺ: «لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْكَفْرِ إِلَّا تَرْكُهُ لِلصَّلَاةِ»⁽³⁾.
5. قوله ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»⁽⁴⁾.

(1) الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج1/ص537، رقم 2777. (نقلا عن عقيدة العزابة، تحقيق: بازين، ص32).

(2) بيوض إبراهيم: في رحاب القرآن، ج6/ص...

(3) رواه الإمام الربيع في صحيحه، كتاب الصلاة ووجوبها، باب [48] جامع الصلاة، حديث رقم: 303. ومسلم في كتاب الإيمان...

(4) رواه الإمام الربيع بن حبيب في صحيحه، ج3/باب [1] الحجّة على من قال إِنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ ليسوا بكافرين، رقم 756. وغيره...

ثالثا - النفاق :

أ- النفاق لغة: مشتق من النافقاء، وهي إحدى جحرتي اليربوع يظهر إحداهما ويكتُم الأخرى، حتَّى ينفلت منها عند الخطر.

ب- النفاق شرعا: هو اختلاف سريرة المرء وعلائيته. واختلاف قوله وعمله، ويكون في صورتين:

الأولى: بإضمار الشرك وإظهار التوحيد، كالمناققين في عهد الرسول ﷺ بالمدينة، وَعَلَى رَأْسِهِمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سُلُولٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: 1).

الثانية: الإقرار بالتوحيد وارتكاب الكبائر، وَيُسَمَّى بالنفاق العملي.

والدليل عَلَى تسمية الموحّد المرتكب للكبائر منافقا: ورود عدّة آيات وأحاديث تصف مرتكبي الكبائر بالنفاق،

منها:

1. قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ - آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة: 75-77).

2. قوله ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»⁽¹⁾، وقوله أيضا: «أَرْبَعٌ مِّنْ كُنْ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»⁽²⁾.

رابعا - الشرك :

أ- تعريفه:

الشرك في اللغة هو التسوية بين شيئين في الذات أو الصفات.
وكفر الشرك في الاصطلاح: هو الإخلال بأي ركن من أركان الاعتقاد.

ب- أقسامه:

الشرك قسمان: شرك جحود وشرك مساواة.

1- شرك الجحود: ويكون مثلا بجحود الله أو إحدى صفاته الذَّاتِيَّة، أو بإنكار البعث أو أحد الملائكة أو الكتب أو الرسل، أو بتحليل أو تحريم شيء منصوص عَلَيْهِ بِنَصٍّ قَطْعِيٍّ (ثبوتا ودلالة) بغير تأويل... أو بإنكار شيء من القرآن، والذي قال عنه الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: 121).

2- شرك المساواة: هو أن يساوي أحد الله بخلقه، قال تعالى عن أصحاب الجحيم: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ

(1) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب علامة المنافق، حديث 33.

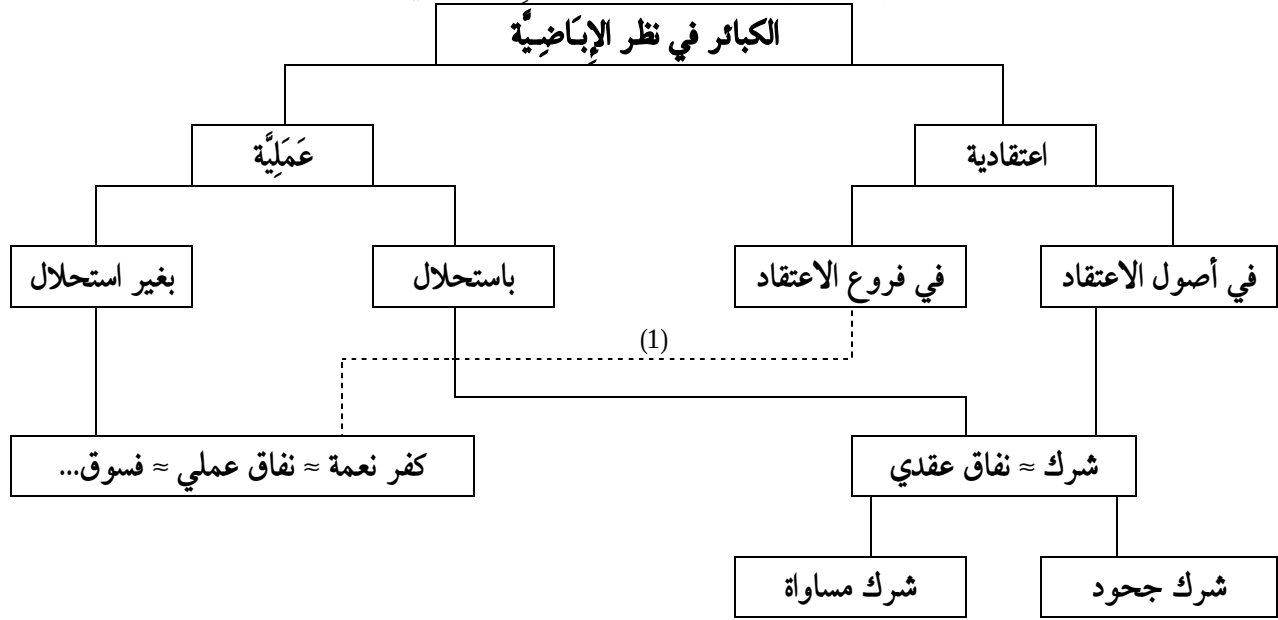
(2) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم 34. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال النفاق، حديث رقم

58. وأبو داود في كتاب السنة، باب الدليل عَلَى زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم 4688. وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة، رقم 6840.

تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُؤَيِّكُمْ بَرَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿الشعراء: 91-98﴾ . وشرك المساواة يكون:

- بوصف الله بإحدى صفات الخلق، أو العكس (وصف المخلوق بإحدى صفات الله).
- بعبادة غير الله، كعبادة الأصنام عند مشركي العرب، وعبدة المسيح، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: 17) .
- باعتقاد النفع والضرر لغير الله، أو تقديس غيره، أو التقرب بالذبح لغيره، إِلَى غير ذَلِكَ مِنْ صُورِ الشَّرِكِ الْكَثِيرَةِ... قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: 110) .

رسم تخطيطي يُبَيِّنُ ويلخص رأي الإباضية في الكبائر



مراجع الدرس:

الجيتالي: قواعد الإسلام، تحقيق بشير الحاج موسى، 98/1-111.

الجعيري: البعد الحضاري، 488/2-520

أوبكة: الوجيز في أصول الدين، للسنة الثانية ثانوي، 21-13.

وينتن: آراء الشيخ اطفيش العقدي، 343-273.

(1) هذا على رأي قدماء الإباضية وبعض المعاصرين. أما الباحثون والعلماء الإصلاحيون اليوم فيرون أن الاختلاف في فروع الاعتقاد (أي في القضايا المختلف فيها بين المذاهب الإسلامية، كالرؤية وخلق القرآن) لا يستلزم التكفير، ولو مجرد كفر نعمة؛ لأن أدلة التكفير غير قوية. والله أعلم.

الأصول التسعة

تعريف:

هي المسائل العقدية التي اختلفت فيها فرق المسلمين، وللإباضية فيها اعتقادهم الخاص، وهي كما يأتي:

1- التوحيد:

وهو توحيد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، وتنزيهه عن كل صفات النقص، وعن صفات الخلق، فيجب تأويل كل ما يوهم التشبيه مما ورد في القرآن أو السنة بما يليق بجلال الله تعالى، كالوجه والعين واليد، والقبضة... خلافا للمجسمة والمشبهة. وقد تقدم الكلام في ذلك.

2- العدل:

الله تعالى عدل لا يجور، فلا يجوز القول بأن الناس مجبورون على أفعالهم، كما قالت المجبرة، لأن ذلك يؤدي إلى نسبة الظلم إلى الله. وقد سبق بيانه أيضاً.

3- القدر:

الله خالق وما سواه مخلوق، خلافا للمعتزلة الذين زعموا أن الإنسان يخلق أفعاله. وقد مر هذا كذلك.

4- ولاية الله لعباده وبراءته:

ولاية الله لعباده تعني: توفيقه إياهم لطاعته، وإعانتهم ونصرتهم. وبراءته هي سخطه وغضبه عليهم. وبما أن الله تعالى يعلم ما كان وما سيكون، ويعلم مصير كل الناس، فإنه يوالي عباده ويعاديهم حسبما يعلم من مآلهم، لا حسب تقلبهم من حال إلى حال، أي أن الله تعالى لا تبدو له البدوات والأفكار، فيوالي اليوم أحداً ويعاديه غداً، لأن هذا من الجهل، والله تعالى منزّه عنه، وعلمه تعالى ذاتي لا يتغير، لأنه غير مكتسب ولا متجدد.

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الإمامة):

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 104)، وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ يَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»⁽¹⁾.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بالغ حسب استطاعته. ويتحقق الأمر والنهي في أعلى مراتبهما بإقامة الحدود، والجهاد في سبيل الله، وردع الظالم، وإنصاف المظلوم، ورعاية مصالح الناس الدنيوية والأخروية، ولا يتسنى ذلك إلا بإمام عدل، فالإمامة عند الإباضية واجبة، خلافاً للنجدية من الخوارج، الذين يزعمون أن الإمامة غير واجبة.

وتنعد الإمامة بالشورى، ومبايعة إمام (حاكم) عادل، تتوفر فيه شروط الكفاءة والتقوى، ولا اعتبار في اختياره للقرشية، ولا للوراثة.

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، حديث رقم 49.

6- الوعد والوعيد:

الوعد: هو ما وعد الله به أهل طاعته من الثواب في الآخرة.
الوعيد: هو ما أوعد الله به أهل الكفر والعصيان من العقاب في الآخرة.
الله تعالى صادق في وعده ووعيده، خلافاً للمرجئة القائلين بأن الكريم إذا أخلف وعيده كان ذلك مدحاً له، وجوابهم بأمرين:

الأول: النص الصريح بأن الله لا يغير حكمه، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (سورة ق: 28-29).
الثاني: إن قولهم يقتضي أن الله لا يعاقب أحداً مطلقاً، فيبطل الوعيد من أصله، وهو ما لم يقل به أحد.

7- الأسماء والأحكام:

أ- كل من أطلق عليه اسم "الشرك" بموجب شرعي تنطبق عليه أحكام المشركين، من جواز قتلهم وسيبهم وغنم أموالهم في حالة الحرب، وتحريم ذبائهم ومناكحتهم وموارثهم، وأن لا يغسل ميتهم، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين. وتجب البراءة منهم والاعتقاد بأنهم في جهنم خالدين فيها أبداً.
ب- كل من نطق بالشهادتين، فهو موحد، سواء أكان موفياً أم غير موفٍ، موافقاً أم مخالف، تنطبق عليه أحكام المسلمين، من تحريم دمه وماله وعرضه، وتحليل ذبيحته ومناكحته وموارثه، وإذا مات يغسل، ويكفن، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، قال ﷺ: «الصلاة جائزة خلف كل بار وفاجر، وصلوا على كل بار وفاجر»⁽¹⁾.
فإن كان موفياً وجبت علينا ولايته، وقبول شهادته، ونعتقد أنه سيكون من أهل الجنة بفضل الله. وإن كان غير موفٍ وجبت علينا البراءة منه، ونعتقد أنه إن لم يتب فهو خالد في النار أبداً.

8- المنزلة بين المنزلتين:

قال تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (الأحزاب: 73)، تبين الآية أن النفاق (كفر النعمة) منزلة بين منزلتي الشرك والإيمان، خلافاً للمرجئة الذين قالوا بأن لا منزلة بينهما، فإما أن يكون المرء مؤمناً وإماً مشركاً، وأنه لا تضرب مع الإيمان معصية مهما كانت، كما لا تنفع مع الكفر (أي الشرك) طاعة، أي أن النطق بالشهادتين كافٍ، وليس العمل ركناً من الإيمان. وقد مر بيان الرد عليهم.

9- لا منزلة بين المنزلتين:

أ- قال تعالى في شأن الإنسان: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (الإنسان: 3)، فالناس في الدنيا صنفان:
- إما مؤمن موفٍ بدين الله.
- وإماً كافر (بكل ما تدل عليه الكلمة، من الشرك، أو كفر النعمة والنفاق، والفجور، والعصيان...).
وهذا خلافاً للمعتزلة الذين اعتبروا فسوق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان، والخلاف بيننا وبينهم لفظي، لأن

(1) رواه الربيع بن حبيب، ج 3/باب [3] الحجة على من يرى الصلاة على موتى أهل القبلة ولا يرى الصلاة خلف كل بار وفاجر، حديث رقم: 776. عن ابن عباس.

الأحكام المترتبة على كفر النعمة عندنا، وعلى الفسوق عندهم واحدة⁽¹⁾.

ب- وقال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: 7)، فالناس في الآخرة كذلك صنفان لا ثالث لهما، فإما في الجنة خالدين فيها أبداً، وإما في النار خالدين فيها أبداً.

المراجع:

- أبو زكرياء يحيى بن الخير الجناوني: الوضع، 21-27.
- عمرو بن رمضان الجربي التلاتي: اللآلئ المنظومات في عقود الديانات،
- علي يحيى معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، (فيه المنزلة بين المنزلتين، ولا منزلة...)، 406-419.
- بكير بن سعيد أعوش: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية.
- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، (نقل متن الديانات للشيخ عامر الشماخي)، 197-201.
- عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، 51-67.
- أحمد أوبكة: الوجيز في أصول الدين،

(1) انظر: علي يحيى معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 317؟.

الولاية والبراءة والوقوف

1- التعريف اللغوي:

أ- الولاية لغة: القرب والنصرة. وتعني أيضاً القيام بالأمر، مثل: الولي في النكاح، أو ولي السفينة... قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة: 282). ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا...﴾ (الإسراء: 33).

ب- البراءة لغة هي البعد، والتخلص والتنزه، يقال: فلان بريء من هذا العمل: أي منزه عنه. وهذا الشيء بريء من العيب: أي سليم منه.

2- التعريف الاصطلاحي:

أ- الولاية اصطلاحاً: هي محبة المطيع بالقلب، والثناء والاستغفار له باللسان، ونصرته وإعانتة بالجوارح.

ب- البراءة اصطلاحاً: هي بغض العاصي بالقلب، وزجره باللسان، وترك الترحم والاستغفار له، وعدم نصرته في المعصية.

3- حكم الولاية والبراءة:

الولاية والبراءة واجبتان شرعاً بالإجماع. وفي الأثر أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «أوثق عرى الإسلام: الولاية في الله والبغض في الله»⁽¹⁾. وَأَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَأَبْغَضَ اللَّهَ وَأَعْطَى اللَّهَ وَمَنَعَ اللَّهَ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»⁽²⁾.

أ- أدلة وجوب الولاية:

- قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (التوبة: 71).
- قوله عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد: 19).

ب- أدلة وجوب البراءة:

- قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ...﴾ (آل عمران: 28).
- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: 51).
- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة: 23-24).
- قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ

(1) رواه الطبراني في الصغير، وفيه عقيل بن الجعد قال البخاري: منكر الحديث. مجمع الزوائد، 90/1. (برنامج ألفية الحديث)

(2) رواه الطبراني في الأوسط وفيه صدقة بن عبد الله السمين ضعفه البخاري وأحمد وغيرهما وقال أبو حاتم محلّه الصدق. مجمع الزوائد، 90/1. (برنامج ألفية الحديث)

أَوْ عَشِيرَتُهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ... ﴿المجادلة: 22﴾ .

4- أقسام الولاية والبراءة:

تنقسم الولاية والبراءة إلى ثلاثة أقسام:

أ- ولاية وبراءة الحقيقة:

سُمِّيَتْ كَذَلِكَ لَأَنَّهُمَا تَعْنِيَانِ وِلَايَةَ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَبِرَاءَتَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَالتَّانِ لَا تَتَغَيَّرَانِ، وَقَدْ مَرَّ بَيَانُ ذَلِكَ.

وَتَنْطَبِقَانِ عَلَى كُلِّ مَنْ وَرَدَ بِاسْمِهِ أَوْ صِفَتِهِ أَوْ كُنْيَتِهِ فِي نَصٍّ قَطْعِيٍّ، أَيْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ السَّنَةِ الْمَتَوَاتِرَةِ، كَابْنِ نُوحٍ، وَفِرْعَوْنَ وَأَبِي لَهَبٍ، وَقَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَكَالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْقُرْآنِ، وَمَرْيَمَ وَامْرَأَةَ فِرْعَوْنَ وَمُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

ب- ولاية وبراءة الجملة :

هِيَ أَنْ يُعْتَقَدَ الْمُكَلَّفُ وِلَايَةَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَيُعْتَقَدُ الْبِرَاءَةَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ كَذَلِكَ. وَهُمَا مِنَ الْفُرُوضِ الْمَضِيْقَةِ، الْعَمَلُ بِهِمَا تَوْحِيدٌ وَتَرْكُهُمَا جُحُودٌ وَشُرْكٌ.

وَقَدْ مَرَّتْ أَدَلَّةٌ وَجُوبُهُمَا مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَجْمَعَتِ الْمَذَاهِبُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى ذَلِكَ، وَاخْتَصَّ الْإِبَاضِيَّةُ بِوِلَايَةِ وَبِرَاءَةِ الْأَشْخَاصِ.

ج- الولاية والبراءة بحكم الظاهر:

وَتَسْمِيَانِ بِوِلَايَةِ وَبِرَاءَةِ الْأَشْخَاصِ، وَهُمَا التَّانِ تَتَرْتَّبَانِ عَلَى مَا نَرَى مِنْ أَحْوَالِ الْأَشْخَاصِ، وَيُظْهَرُ لَنَا مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

تَجِبُ الْوِلَايَةُ لِكُلِّ مَوْفٍ بِدِينِهِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

تَجِبُ الْبِرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مُخَالَفٍ فِي الْقَوْلِ أَوْ الْعَمَلِ.

5- طرق إثبات الولاية والبراءة بحكم الظاهر:

أ- طرق الولاية:

الطريق الأول: العيان، أي مشاهدة الطاعة من المطيع.

الطريق الثاني: الشهرة المحققة.

الطريق الثالث: شهادة عدلين فما فوق.

الطريق الرابع: وقد اختلف فيه، وهو ربيعة العالم⁽¹⁾ الواحد بما يوجب الولاية لمعيّن، فذهب بعض إلى أَنَّهَا حُجَّةٌ لَهُ وَعَلَيْهِ، وَحَمَلُوهَا عَلَى مَعْنَى الشَّهَادَةِ فِي حَقِّهِ اللَّهِ، كَصُومِ رَمَضَانَ، وَطَهَارَةِ الثِّيَابِ مِنَ النِّجَاسَاتِ، فَإِنَّ الْعَدْلَ الْوَاحِدَ فِي

(1) يبدو من سياق بهجة الأنوار أَنَّ المقصود بالعالم: العالم بأحكام الولاية والبراءة، لا العالم أي الفقيه المفتي.

كُلُّ ذَلِكَ حُجَّةٌ.

وذهب آخرون إلى أن رفاعة العدل الواحد ليست موجبة للولاية حتى يكونا عدلين.

ملاحظة: الإقرار بالطاعة لا يوجب الولاية، ما لم يكن ثم موجب آخر.

ب- طرق البراءة:

الطريق الأول: العيان، أي مشاهدة المعصية من العاصي.

الطريق الثاني: الإقرار، وهو أن يقر العاصي بمعصيته، لا لكونه نادماً على تفريطه، سائلاً عما يلزمه في فعله.

الطريق الثالث: شهادة عدلين فما فوق.

الطريق الرابع: الشهرة المحققة، لا كشهرة بعض الشيعة بالبراءة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

6- الوقوف:

الوقوف اصطلاحاً: هو الإمساك عمّن لا تعرف حاله من صلاح أو فساد، لعدم ثبوت الأدلة اليقينية، فلا تتولاه ولا

تتبرأ منه.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: 36)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن

جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: 6)⁽¹⁾.

(1) اشتهرت على الألسنة هذه المقولة على أنها لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بينما هي للسري: «الأمور ثلاثة أمر بان لك رشده فأتبعه، وأمر بان

لك غيه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك فقف عنه وكله إلى الله تعالى، وليكن الله دليلك، واجعل فقرك إليه تستغن به عمّن سواه»⁽¹⁾.

أورده البيهقي في الزهد الكبير، رقم 928، ج2/ص341.

كما اشتهر استدلالهم بالأثر: «المؤمن وقاف والمنافق وثأب»، ولكن لم أعثر عليه في الألفية ولا الكتب التسعة.

7- الآثار السلبية بسبب ترك الولاية والبراءة :

- 1- التخلي عن الأخوة والتناصر في الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾ (الحجرات: 10) ، وقال الرسول ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.
فنتج عن هذا ما نراه من فتنة وفساد كبير، واستعمار وتسلط للمشركين، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ فَوْسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال: 73)⁽²⁾.
- 2- مناصرة الكفار ضد المسلمين، وطاعتهم في معصية الخلق، وهذا من شيم المنافقين: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا لَهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: 138 - 139) .
- 3- التقليد الأعمى للكفرة والفجرة في المظاهر والسلوك الغريبة عن الإسلام، وقد أمر النبي ﷺ بمخالفتهم إذ قال: «خَالِفُوا الْمَشْرِكِينَ، وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»⁽³⁾.
- 4- محبة الفساق والفجار ومتابعة أخبارهم وإنتاجهم، عبر مختلف وسائل الإعلام، وتعليق صورهم... قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»⁽⁴⁾.
- 5- مجالسة الفجار وتكثير جموعهم، وهذا من خصال النفاق أيضاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: 140) .
- 6- انتشار الرذائل والموبقات في المجتمع المسلم.

-
- (1) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد. واللفظ للبخاري، كِتَابُ الْمَظَالِمِ وَالْغَضَبِ، بَابُ لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمَ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ، رقم 2310.
 - (2) الآيات والأحاديث في وجوب نصره المسلمين لبعضهم بعضاً كثيرة، منها قوله ﷺ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزْهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ». البخاري: كِتَابُ الْإِكْرَاهِ، بَابُ يَمِينِ الرَّجُلِ لِمَا أَحَبَّهُ إِنَّهُ أَخُوهُ... رقم 6552.
 - (3) وفي بَقِيَّةِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ: «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا حَجَّ أَوْ اعْتَمَرَ قَبِضَ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ فَمَا فَضَّلَ أَخَذَهُ». البخاري: كِتَابُ اللَّبَاسِ، بَابُ تَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، رقم 5553.
 - (4) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري في كِتَابِ الْأَدَبِ، بَابُ عَلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رقم 5816.

الذنوب والتوبة

تعريف الذنوب:

الذنب لغة: هو الإثم والجُرم والمعصية، جمعه ذنوب.

الذنب اصطلاحاً: هو مخالفة أوامر الله تعالى ونواهيه.

تنقسم الذنوب باعتبار متعلّقها إلى:

- 1- ذنوب بين العبد وربّه، مثل ترك الصلاة أو الصيام أو سائر الفرائض، لا يغفرها الله إلا بالتوبة النصوح.
 - 2- ذنوب تتعلّق بحقوق العباد: كترك النفقات الواجبة، وقتل النفس، وغصب الأموال، وهتك الأعراض، والتوبة من هذه الذنوب أصعب، إذ لا يغفرها الله إلا بعد أداء الحقوق لأصحابها.
- وتنقسم الذنوب باعتبار قبّحها إلى كبائر وصغائر.

أولاً - الكبائر⁽¹⁾:

أ- أنواعها:

الكبائر نوعان:

- 1- ما أوجب الله عليه الحدّ في الدنيا والعذاب في الآخرة، مثل: السرقة والزنى والقذف...
 - 2- ما أوجب الله عليه العقاب في الآخرة من غير حدّ في الدنيا، مثل الربا، وعقوق الوالدين... وكذا كل ذنب ورد فيه لعن صاحبه، أو قرن بالوعيد في القرآن أو السنة الصحيحة، كتطيف الكيل، قال تعالى: ﴿وَيَلْ لَّلمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: 1)، وكالتهاون بالصلاة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ...﴾ (الماعون: 4-5)، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ (مريم: 59).
- وأكبر الكبائر: الشرك بالله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 48)، وقال ﷺ: «أكبر الكبائر: الإشرāk بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور وشهادة الزور... فما زال يكررها حتّى قلنا ليته سكت»⁽²⁾.

(1) هذه نماذج من الكبائر ذكرها الله تعالى في سورة الأنعام: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: 151-153).

(2) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، رقم 6521. وقال ﷺ أيضاً: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَايِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَلَدِيهِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَلَدِيهِ قَالَ يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ»، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم 5628.

ب- أحكامها :

يجب على مرتكب الكبيرة ما يلي:

- 1- أن يعتقد أنه سيخلد في النار، وأن الكبيرة تحبط عمله، إن لم يتب منها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (سورة محمد: 28)، وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 88).
- 2- أن يسارع إلى الندم والاستغفار، واستصحاب الندم والتحسر كلما ذكر تلك الكبيرة.
- 3- أن يرد التبعات ويحال من ظلمه، ويصلح ما أفسده، إن كانت الكبيرة تتعلق بحقوق العباد.
- 4- أن يقضي ما ضيع من الفرائض، ويؤدي ما يجب عليه من الكفارات أو غيرها.

ما يجب على غير مرتكب الكبيرة نحوه:

- 1- زجره، ونهيه عن فعلته، واستتابته، والبراءة منه إن لم يتب.
- 2- تطبيق الأحكام المترتبة على ذلك الذنب، كالحد والتعزير. وهذا من اختصاصات الإمام.

ثانيا - الصغائر:

أ- تعريفها:

هي كل ما سوى الكبائر، وهي كل عمل سيء لم يثبت على فاعله حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة. وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى.

ب- أحكامها:

1- إن الله يغفرها بما يأتي:

- باجتنب الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخِلَ كَرِيمٍ﴾ (النساء: 31)، والمراد بالسيئات هنا الصغائر.

- بفعل الطاعات بشرط اجتناب الكبائر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: 114)، وفي الحديث أن من الجمعة إلى الجمعة، ومن رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما.

- بالمصائب التي تصيب صاحبها، بشرط اجتناب الكبائر أيضاً، قال ﷺ: «مَا مِنْ مُّصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُّهَا»⁽¹⁾.

2- يحكم على صاحبها ببقائه على ما كان عليه من ولاية أو وقوف، فلا يُتبرأ منه لأجلها، حتى يعلم منه الإصرار عليها.

3- الإصرار على الصغيرة كبيرة، ففي الخبر عن رسول الله ﷺ: «لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الْاسْتِغْفَارِ»⁽²⁾. والإصرار هو الاستخفاف بها وعدم التحرج منها.

(1) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم 5317. ومسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، رقم 2572.

(2) قال العجلوني: «رواه أبو الشيخ والديلمي عن ابن عباس رفعه وكذا العسكري عنه في الأمثال بسند ضعيف لا سيما ورواه ابن المنذري في تفسيره عن ابن عباس من قوله، والبيهقي عن ابن عباس موقوفا، وله شاهد عند البغوي، ومن جهة الديلمي عن أنس مرفوعا، ورواه إسحاق بن بشر في المبتدأ عن عائشة لكن حديثه منكر، وأخرجه الطبراني عن أبي هريرة وزاد في آخره: //فطوبى لمن وجد في كتابه استغفارا كثيرا» لكن في إسناده بشر بن عبيد الفارسي متروك، ورواه الثعلبي وابن شاهين في الترغيب عن أبي هريرة. كشف الخفاء، 490/2: رقم 3071.

الإيمان باليوم الآخر

تمهيد:

إنَّ اليوم الآخر أخطر وأعظم الأخبار الغيبية التي أخبر الله عنها على الإطلاق، إذ لا تكاد تخلو منه صفحة من القرآن. وهو من المسائل الغيبية الثابتة بالنقل والتي لا مجال للعقل فيها.

أولاً - الموت

الموت هو مفارقة الروح للجسد⁽¹⁾، للانتقال من الدار الفانية إلى الدار الباقية. وهو أمر لا ينكره أيُّ عاقل. وإنَّما على المسلم أن يعتقد:

- أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ - سوى الله - فان.

- أَنَّهُ لَا مَفْرَءَ مِنْهُ إِلَّا قَاتِلًا: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (النساء: 78).

- أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَيُّ مَخْلُوقٍ تَقْدِيمَ الْأَجَلِ أَوْ تَأْخِيرَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (المنافقون: 11).

- أَنَّ اللَّهَ كَلَّفَ بَعْضَ الْمَلَائِكَةِ بَقْبُضَ الْأَرْوَاحِ (كما سبقت الإشارة في درس الملائكة).

وأشار القرآن والحديث إلى أَنَّ اللَّهَ يَهْوَنُ مَوْتَ الْمُؤْمِنِ، ويشدد موت الكافر⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (النحل: 32)، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (الأنفال: 50) وهذا الفرق «ليس قانوناً دائماً»⁽³⁾.

ثانياً - الساعة

لقيام الساعة معنيان:

1- أجل انتهاء وجود المخلوقات بإذن الله تعالى. 2- نفخة بعث الناس من قبورهم.

ويجب الإيمان بما يلي:

- أَنَّ وَقْتَ السَّاعَةِ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَأْتِي إِلَّا بَغْتَةً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 187)⁽⁴⁾.

(1) انظر تعريفات أخرى للموت: الثميني: النور (شرح نونية أبي نصر)، ص 365. السالمي: مشارق، ص 262.

(2) الثميني: النور، ص 365-366. الجعيري وكسكاس: العقيدة (2)، ص 124. بتصرف.

(3) البوطي: ص 308.

(4) قال ﷺ: «...ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن فلا يطعمه، ولتقوم الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها». البخاري: كتاب

الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، حديث 6141، ج 5/ص 2386.

- تكون الساعة مسبقة بعلامات (أشراط): ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ (محمد: 19)⁽¹⁾. منها: طلوع الشمس من مغربها، خروج الدابة... وحينها ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: 158).

ثالثا - البرزخ

البرزخ لغة هو: الحاجز بين شيئين، واصطلاحا هي: الفترة التي بين الموت ونفخة البعث. قَالَ تَعَالَى: ﴿...وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: 99-100).

وفي الخبر أَنَّ القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: 46)⁽³⁾. وقال ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ (إِلَيْهِ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽⁴⁾.

وكان النبي ﷺ يستعيز من عذاب القبر، يُعَلِّمُ الصَّحَابَةَ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»⁽⁵⁾.

رابعا - النفخ في الصور

الصور لغة هو البوق. أمّا اصطلاحاً فالله أعلم بما هيته وكيفيته. وعلى المؤمن أن يعتقد أنه توجد نفختان: نفخة الصعق أو الفزع، ونفخة البعث (الإحياء)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر: 68).

خامسا - البعث⁽⁶⁾

البعث شرعا هو: ردُّ الروح إلى الجسد. والإيمان به واجب وإنكاره شرك. وقد أكد عليه الله تعالى في كتابه تأكيدا شديدا بمختلف الأساليب، منها قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ

- (1) ينظر: البوطي: كبرى البقنيات، ص 318-337. وينتن: آراء، 162-167.
- (2) اشتهر هذا الخبر عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وقال فيه الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، 639/4، رقم 2460. وَلَكِنَّ الْعَجْلُونِي قَالَ: «رواه الترمذي والطبراني عن أبي سعيد ورواه الطبراني أيضا عن أبي هريرة وكلاهما به مرفوعا بسند ضعيف»، كشف الخفاء، 118/2، رقم 1853.
- (3) انظر: الأشعري: الإبانة، ص 182. الرازي: التفسير، 73/27. القرطبي: 318/15-319. القطب اطفيش: التيسير، ط 1، 1273/5. نقلا عن الجعبيري، 644/2.
- (4) رواه الربيع بن حبيب في كتاب الجنائز باب [20] في القبر، رقم 484.
- (5) رواه الربيع بن حبيب في كتاب الأذكار، باب [21] في الدعاء، رقم 490.
- (6) السالمي: مشارق، 262. الجعبيري وعاشور: العقيدة (2)، ص 129.

وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿التغابن: 7﴾ .

والدليل على إمكانية البعث من العقل أن إعادة الخلق مرة ثانية يكون أسهل - عقلا - من الخلق الأول من العدم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الروم: 27) . ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (الأنبياء: 104) .

سادسا - حوض النبيء محمد ﷺ

وهو ثابت بالنقل، لا يرده من أمة الرسول ﷺ إلا الموفون بدينهم. والأحاديث فيه كثيرة منها قوله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَمِلَ بِهِ حَشَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا، وَيُرْزَقُ الْوُرُودَ عَلَى الْحَوْضِ»⁽¹⁾.

سابعا - الحساب

الحساب في اللغة هو العدُّ:

وفي الاصطلاح: هو إطلاع الله عباده على ما قَدَّمُوهُ من أعمال صالحة أو سيئة، وتبيين العمل المقبول منها والمردود، وجزائهم عليها⁽²⁾. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: 36) . وفي الحديث: «يسأل العبد يوم القيامة عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن ماذا عمل فيما علم»⁽³⁾.

وفي الحساب يجب الإيمان بهذه الأمور:

- أَنَّ حساب الله تعالى دقيق جدًا، وعادل عدلا مطلقا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُوتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 40) .

- أَنَّ المطيع يحاسب حسابا يسيرا، وَأَنَّهُ يُؤْتَى بِصَحَائِفِ أَعْمَالِهِ يَمِينَهُ، وَأَنَّ العاصي يحاسب حسابا عسيرا، وَيُؤْتَى بِصَحَائِفِهِ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ أَنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ...﴾ إِلَى أَنْ يَقُول: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ وَلَمْ أَدْرَ مَا حِسَابِيهِ يَالَيْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ...﴾ (الحاقة: 19-37) ، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (الانشقاق: 7-12) .

- أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ يَتضمن كُلَّ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ، وَهُوَ ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (الكهف: 49) .

- أَنَّ هَولَ يوم الحساب عظيم: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ

(1) رواه الربيع في باب [4] فِي الْعِلْمِ وَطَلَبِهِ وَفَضْلِهِ، رقم 21.

(2) انظر: السالمي: مشارق: 275-276. الجيطالي: قناطر، القسم الأول، ص 320. أبو سَئَة: حاشية القواعد، 62/1، تح: الحاج موسى. وانظر: القطب: الذهب: 14.

(3) رواه نحوه الترمذي، فِي كِتَابِ أَبْوَابِ صِفَةِ الْقِيَامَةِ، باب ما جاء فِي شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقِصَاصِ، رقم 2531، 2532، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والطبراني فِي الْكَبِيرِ، عَنْ مُعَاذٍ، 60/20، رقم 111. انظر: الجيطالي، ص 65.

مَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿عَبَسَ: 33-37﴾ .

ثامنا - الميزان

ليس الميزان عند الإباضية ميزانا حسيًا، وإنما هو كناية عن العدل المطلق، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: 47) . وأما ثقل الموازين فهو كناية عن السعادة، وخفتها كناية عن الشقاوة، والعرب تُعَبِّرُ عن علوِّ الشأن بثقل الميزان.

تاسعا - الصراط

يرى أغلب الإباضية أنَّ الصراط إنما هو تمثيل لطريق الحق، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: 22) . ومنهم من يرى أَنَّهُ يَصِحُّ فيه المعنيان حسب السياق، وهو الأرجح، نظرًا لوجود نصوص في السنة تثبت وجوده في الآخرة فوق جهنم.

عاشرا - الشفاعة (1)

الشفاعة لغة: هي الوسيلة والطلب.

وعرفا هي: طلب الخير من الغير للغير.

وشرعا هي: طلب التعجيل بدخول الجنة أو زيادة درجة فيها من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين.

وتكون للأنبياء وغيرهم من الملائكة والشهداء والأولياء، ويختصُّ نبينا ﷺ منها بخصلة هي تقدُّمه إِلَيْهَا قبل كُلِّ شافع. وهي المقام المحمود الذي في قوله تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: 79) ، أي: مقاما يحمداً فيه الأولون والآخرون.

ومذهب الإباضية في الشفاعة أَنَّهُا مقصورة على الأتقياء من المكلفين، وهم من جانب المحرّمات وأدى الواجبات، فلا شفاعة لغيره من الأشقياء والعصاة من الموحدين إن ماتوا على غير توبة، ولا المشركين، للأدلة القطعية الثابتة، منها:

1- قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (الأنبياء: 28) ، وقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: 18) ، ولفظة الظالمين عامّة.

2- أدلة الخلود الثابتة، فإذا ثبت تخليدهم انتفت الشفاعة ضرورة.

وقد تمسك المخالفون برواية نصّها: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»، ويجاب عنها بأمور:

1- أَنَّهُ أَحَادِي ظَنِّيٌّ فلا يعارض القطعي (مِمَّا سبق ذكره).

2- أَنَّهُ عارضتها روايات صريحة في نفي الشفاعة عن بعض مرتكبي الكبائر، منها قوله ﷺ: «لَا تَنَالُ شَفَاعَتِي

(1) مسائلنا الشفاعة والخلود نقلنا عن تلخيص الشيخ باشعادل لكتاب بهجة الأنوار (بتصرف).

سُلْطَانًا غَشُومًا لِلنَّاسِ، وَرَجُلًا لَا يُرَاقِبُ اللَّهَ فِي الْيَتِيمِ⁽¹⁾. فَهَذِهِ بَتْلُكَ، عَلَى أَنَّ هَذِهِ قَدْ عَضَدَهَا الْكِتَابُ الْكَرِيمُ، وَتِلْكَ قَدْ خَالَفَتْهُ، فَوَجِبَ:

- إِمَّا الْقَوْلُ بِوَضْعِ تِلْكَ الرِّوَايَةِ، إِذْ لَوْ كَانَتْ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ لَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ الْمُتَقَرَّبُونَ بِالْكِبَائِرِ.

- وَإِمَّا أَنَّهَا مَعْلَقَةٌ بِشَرْطِ دَلِّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، وَهُوَ إِذَا مَاتُوا تَائِبِينَ مِنْهَا. وَالْفَائِدَةُ مِنْ تَخْصِيصِهِم بِالذِّكْرِ فِي سِيَاقِ الشَّفَاعَةِ دَفْعُ إِيَّاسِهِمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَسْهِيلُ الطَّرِيقِ لَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بُغْتَةٌ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ...﴾ [إِنْخِ الْآيَاتِ (الزمر: 53-55)].

حادي عشر - الخلود

اختلفت الأمة في أهل الجنة والنار على أربع فرق:

- **الأولى:** وهي الجهمية، زعمت أَنَّ الجنة والنار فانيتان بعد دخول أهلها فيهما (مشركون وعصاة). ولا داعي لمناقشة هذا الرأي لمخالفته صريح القرآن والسنة بخلودهما، ولعدم وجود هذه الفِرقة.

- **الثانية:** زعمت أَنَّ الخلود في الجنة فقط دون النار، وتشبثوا برواية جاء فيها: «لِيَأْتِيَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمَ تَصْفَقُ فِيهِ أَبْوَابُهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ...».

والجواب عَلَى الرواية أَنَّهَا - فضلاً عَمَّا فِي مَتْنِهَا وَسُنْدِهَا مِنْ نَكَارَةِ - آحادية لا تقوى عَلَى معارضة القطعي من القرآن والسنة، منها قوله تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 80-81).

- **الثالثة:** وهم أغلب المسمون بأهل السنة، ذهبوا إِلَى أَنَّ أَهْلَ الجنة والمشركون من أَهْلِ النار مخلدون فيهما، وزعموا أَنَّ أَهْلَ الكِبَائِرِ غير المشركون يخرجون من النار إِلَى الجنة، وَأَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى كِبِيرَةٍ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أُمُورِ ثَلَاثَةٍ: إِمَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ بِغُفْرِهِ، أَوْ يَشْفَعَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ، أَوْ يَعْذَّبُ بِمِقْدَارِ عَمَلِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَدْخُلُ الجنة. وزعم بعضهم أَنَّهُ يَكْتَبُ عَلَى جَبَاهِهِمْ: «هَؤُلَاءِ جَهَنَّمِيُّونَ فَيَعِيرُهُمْ أَهْلُ الجنة عَلَى ذَلِكَ، فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ زَوَالَهُ، فَيَمْحُوهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَيَبَدِّلُهُمْ مَكَانَهُ نَوْراً يَتَلَوَّاهُ فَيُودُّ أَهْلَ الجنة أَنْ لَوْ عَمِلُوا كَعَمَلِهِمْ».

قال الشيخ السالمي: «وهذا... عين المحال بأن جعلوا العصبي أشرف من الطائع، وجمعوا بين الأضداد، وكتاب الله ناطق بخلاف ما زعموا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة: 18)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم: 35-36)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية: 21).

- **الرابعة:** وهم الإباضية والمعتزلة فقد اعتمدوا عَلَى صريح القرآن وصحيح السنة، وقالوا: إِنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيَانِ

(1) رواه الربيع في الأخبار المقاطيع عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْإِيمَانِ وَالنِّفَاقِ، رَقْمُ 1002.

رَبِّهِ، مَصْرًا عَلَى ذَنْبِهِ، فَهُوَ مَخْلَدٌ فِي النَّارِ أَبَدًا، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ الْجَاهِلِينَ لِلَّهِ، أَوْ الْفَسَّاقِ مُرْتَكِبِي الْكِبَائِرِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَإِنَّمَا الْفَرْقُ فِي دَرَكَاتِهِمْ، إِذْ كُلُّ مَعَذَّبٍ بِقَدْرِ عَمَلِهِ، وَمَنْ أَدْلَتْهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن: 23) ⁽¹⁾.

ما ينقص هذه المطبوعة:

- في درس التوبة: بعض التفاصيل فيما يخص التوبة وشروطها...

- في درس اليوم الآخر: سؤال الملكين في القبر، الحشر أهواله، واختلاف أحوال الناس فيه، وطوله يومه بالنسبة لبعض وقصره للبعض، السبعة الذين يظلمهم الله، الحساب الدقيق العادل، ومن يحاسب ومن لا يحاسب، صحائف الأعمال، شهادة الجوارح، ورود النار واختلاف الأمة في معناه...

(1) ينظر لمزيد من الأدلة والمناقشة كِتَابِ الْحَقِّ الدَّامِغِ لِسَمَاحَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدِ الْخَلِيلِيِّ.

المحتويات

السنة الأولى ثانوي

تعريف عام بعلم أصول الدين وأهميته

1. تمهيد
1. تعريفات
- 1- علم أصول الدين
- 2- علم العقيدة
- 3- علم التوحيد
- موضوعات علم أصول الدين
- أهمية علم أصول الدين
- المراجع
- النشاط الدراسي

مفاهيم أساسية

أولا : الإسلام

- 1- تعريف الإسلام
- 2- أهمية الإسلام
- 3- أركان الإسلام وقواعده

ثانيا : الإيمان

- 1- تعريف الإيمان
- 2- شروط الإيمان
- 3- زيادة الإيمان ونقصانه وضعفه
- 4- طرق الإيمان
- أ- الفطرة
- ب- العقل
- ج- الوحي
- 5- عوارض الإيمان

ثالثا : جملة التوحيد وتفسيرها

- 1- جملة التوحيد
- أ- تعريفها
- ب- وجوبها
- ج- فضلها
- د- أحكامها
- 2- تفسير الجملة
- أ- التفسير الاعتقادي

- 10..... ب- التفسير العملي
- 10..... رابعاً : ما يسع جهله وما لا يسع
- 10..... أ- ما لا يسع جهله
- 10..... ب- ما يسع جهله

11..... قواعد منهجية في التعامل مع قضايا العقيدة

- 11..... القاعدة الأولى: «العقيدة لا تبنى إلا على اليقين»
- 11..... القاعدة الثانية: «خبر الآحاد يوجب العمل ولا يوجب العلم»
- 12..... القاعدة الثالثة: «عدم التصور أو التخيل لا يعني عدم الوجود»
- 12..... القاعدة الرابعة: «الأسلوب البشري عاجز عن التعبير الدقيق عن قضايا الغيب»

13..... خصائص العقيدة الإسلامية

- 13..... 1- الربانية
- 13..... أ- التعريف
- 13..... ب- أهمية هذه الخاصية
- 13..... ج- نتيجة هذه الخاصية
- 14..... 2- موافقة العقل والفطرة
- 14..... 3- الشمولية
- 14..... 4- الواقعية
- 15..... 5- الوضوح
- 15..... 6- التوازن

16..... الإيمان بالله تعالى وصفاته

- 16..... أولاً- وجود الله تعالى
- 16..... أ- وجود الله فطري في الإنسان
- 16..... ب- دليل الخلق
- 16..... ج- دليل العناية
- 17..... د- بطلان الصدفة
- 17..... هـ القرآن الكريم والدعوة إلى النظر واستعمال العقل لمعرفة الله
- 24..... مراجع الدرس
- 24..... النشاط الدراسي

25..... الإيمان بالملائكة

- 25..... التعريف
- 25..... صفاتهم
- 26..... وظائفهم
- 27..... الآثار التربوية للإيمان بالملائكة

28..... الإيمان بالكتب

- 28..... أولاً : تعريف الكتب والصحف

28	ثانيا : وجوب الإيمان بالكتب
28	ثالثا: الوحي (إمكانيته، ضرورته، طريقه)
28	أ- تعريفه
28	ب- ضرورته
29	ج- إمكانيته ودليله
29	د- طرائقه
30	رابعا: عدد الكتب والصحف
30	خامسا: خصائص الكتب والصحف

الإيمان بالأنبياء والرسل والمعجزات

أولا : الأنبياء والرسل

32	تمهيد
32	أ- التعريف اللغوي
32	ب- التعريف الاصطلاحي
32	ج- وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل عموماً
33	د- وجوب الإيمان بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً
33	هـ- وظائف الأنبياء والرسل
33	و- صفات الأنبياء والرسل
33	1- الصفات الواجبة
34	2- الصفات المستحيلة
34	3- الصفات الجائزة
34	ز- تفاضل الأنبياء والرسل

ثانيا : المعجزات

35	أ- تعريف المعجزة
35	ب- طبيعة المعجزة
35	ج- المعجزة في ميزان العلم
35	د- معجزة الرسول محمد ﷺ
36	هـ- أهميّة الإيمان بالأنبياء والرسل والمعجزات
36	مراجع الدرس
37	النشاط الدراسي

السنة الثانية ثانوي

18	ثانيا : صفات الله تعالى
18	المنطلق
18	1- الوحدانية وأدلتها
18	2- ما يترتب عن الوحدانية

- 18..... أ- نفي المشابهة للمخلوقات
- 19..... ب- نفي العجز والحلول في الزمان والمكان عن الله تَعَالَى
- 19..... ج- نفي الطمع في إدراك ذاته تَعَالَى
- 19..... د- نفي رؤية الله تَعَالَى في الدنيا والآخرة
- 20..... 3- تقسيم صفات الله تعالى
- 20..... أ- التقسيم الأول
- 21..... ب- التقسيم الثاني
- 21..... 4- توقيف الأسماء والصفات
- 22..... 5- الألفاظ الموهمة للتجسيم أو التشبيه
- 23..... 6- علاقة صفات الله تعالى بذاته
- 23..... 7- الأثر العملي من معرفة صفات الله تعالى
- 24..... مراجع الدرس

الإيمان بالكتب

- 28.....
- 31..... سادسا: القرآن الكريم
- 31..... أ- تعريف القرآن
- 31..... ب- خلق القرآن

الإيمان بالقضاء والقدر

- 38.....
- 38..... أولاً - تمهيد
- 38..... ثانيا - المعاني اللغوية للقضاء والقدر
- 38..... ثالثا - المعنى الاصطلاحي للقضاء والقدر
- 38..... رابعا - وجوب الإيمان بالقضاء والقدر
- 39..... خامسا - اختلاف المسلمين في مسألة القضاء والقدر
- 39..... 1- المعتزلة
- 39..... من أدلتهم العقلية
- 39..... من أدلتهم النقلية
- 40..... 2- الجهمية
- 40..... من أدلتهم
- 40..... 3- الجمهور
- 41..... من أدلتهم
- 41..... سادسا - ما يجب في الإيمان بالقضاء والقدر
- 41..... سابعا - بعض الإشكالات وجوابها
- 41..... ثامنا - خلاصة القول
- 42..... تاسعا - الآثار التربوية للإيمان بالقدر
- 42..... المراجع

الملل الست وأحكامها

- 44.....
- 44..... أولاً - الملة الأولى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

44	ثانيا - الملل الثانية والثالثة والرابعة ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِينَ وَالنَّصَارَى﴾
45	ثالثا: الملة الخامسة ﴿وَالْمَجُوسَ﴾
45	رابعا : الملة السادسة ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
46	خامسا: أحكام عامة في كل الملل غير المسلمة
46	المراجع

الألفاظ الشرعية

47	الإيمان-الإسلام-الكفر-النفاق-الشرك
47	تمهيد
47	أولاً - الإيمان والإسلام
47	أ- المعنى اللغوي
47	ب- المعنى الشرعي
47	ج- أصول الإيمان والإسلام
49	ثانيا - الكفر
49	أ- المعنى اللغوي
49	ب- المعنى الشرعي
49	ج- أقسام الكفر
49	1- كفر النعمة عند الإباضية
49	2- أدلة الإباضية
50	ثالثا- النفاق
50	رابعا - الشرك
50	أ- تعريفه
50	ب- أقسامه

الأصول التسعة

52	تعريف
52	1- التوحيد
52	2- العدل
52	3- القدر
52	4- ولاية الله لعباده وبراءته
52	5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الإمامة)
53	6- الوعد والوعيد
53	7- الأسماء والأحكام
53	8- المنزلة بين المنزلتين
53	9- لا منزلة بين المنزلتين
54	المراجع

الولاية والبراءة والوقوف

55	
----	--

55	1- التعريف اللغوي
55	2- التعريف الاصطلاحي
55	3- حكم الولاية والبراءة
55	أ- أدلة وجوب الولاية
55	ب- أدلة وجوب البراءة
56	4- أقسام الولاية والبراءة
56	أ- ولاية وبراءة الحقيقة
56	ب- ولاية وبراءة الجملة
56	ج- الولاية والبراءة بحكم الظاهر
56	5- طرق إثبات الولاية والبراءة بحكم الظاهر
56	أ- طرق الولاية
57	ب- طرق البراءة
57	6- الوقوف
58	7- الآثار السلبية بسبب ترك الولاية والبراءة

59..... الذنوب والتوبة

59	تعريف الذنوب
59	أولاً - الكبائر
59	أ- أنواعها
60	ب- أحكامها
60	ثانياً - الصغائر
60	أ- تعريفها
60	ب- أحكامها

61..... الإيمان باليوم الآخر

61	تمهيد
61	أولاً - الموت
61	ثانياً - الساعة
62	ثالثاً - البرزخ
62	رابعاً - النفخ في الصور
62	خامساً - البعث
63	سادساً - حوض النبي محمد ﷺ
63	سابعاً - الحساب
64	ثامناً - الميزان
64	تاسعاً - الصراط
64	عاشراً - الشفاعة
65	حادي عشر - الخلود
67	المحتويات